# خان الحكايات

لكل مسافرٍ سرٌّ.. ولكل سرٍّ ثمن.



علي ابراهيم خليل الخفاجي

# خان الحكايات

لكل مسافرٍ سرّ... ولكل سرٍّ ثمن

رواية

علي إبراهيم خليل الخفاجي

# كلمة إلى القارئ

## إلى قارئ هذه الرحلة

لا تُقاس الحكاية بطول الطريق، بل بما تعيده إلى القلب من أمانةٍ ورحمة. بين هذه الصفحات لكل مسافرٍ سرّ، ولكل سرٍّ بابٌ يفتحه الصبر والدليل. اقرأها على مهل؛ فلعلّ حكمة عابرٍ تصبح زادك في طريقك.

---

جميع الشخصيات والأحداث والأماكن الواردة في متن الرواية متخيّلة، ولا تُقدَّم بوصفها وقائع موثقة ما لم يُصرَّح بذلك.

# الفهرس

عشر حكايات عن الأمانة والرحمة والاختيار وما يبقى بعد الرحيل

**01 التاجر والمفلس** 1 إدارة الأزمات والمال — عمّار يتعلم أن التعثر ليس نهاية الطريق حين تتحول الخسارة إلى حساب وخطة. من دفتر الخان: ميزانٌ واضح وخطة سدادٍ واقعية يحوّلان التعثر من خوفٍ مبهم إلى خطوةٍ ممكنة.

**02 الطبيب المنهك** 8 التوازن النفسي وحدود العطاء — رائد يكتشف أن حفظ طاقته جزء من مسؤوليته تجاه مرضاه وأهله. من دفتر الخان: الراحة وطلب المساندة ليسا تقصيراً، إنهما جزءٌ من رعايةٍ تستطيع الاستمرار.

**03 الأب وابنه الصامت** 15 الحوار والإنصات — عباس وسيف يعيدان فتح باب الكلام خطوةً خطوة، لا بالنصح وحده. من دفتر الخان: سؤالٌ هادئ وإنصاتٌ كامل قد يفتحان باباً عجزت النصائح الطويلة عن فتحه.

**04 الحرفي الذي فقد شغفه** 22 الإتقان وصناعة الأثر — داود يرى أثر عمله في أبوابٍ حمت الناس، ويمنح خبرته ليدٍ جديدة. من دفتر الخان: حرفةٌ متقنة وخبرةٌ تنتقلان إلى يدٍ جديدة تصنعان أثراً أبعد من صاحبهما.

**05 الكاتب الباحث عن الحقيقة** 29 التفكير النقدي والتحقق — نور تتوقف قبل النشر، وتتعلم أن سرعة الخبر لا تعفي صاحبه من الدليل. من دفتر الخان: التثبت من المصدر والزمان والرواية يحمي الناس من حكمٍ متسرع لا يمحى بسهولة.

**06 المبرمج والوقت الضائع** 36 التركيز والانضباط الرقمي — حسين يستعيد وقته حين يختار ما يستحق انتباهه. من دفتر الخان: الانتباه موردٌ ثمين؛ اختياره بعناية يعيد للإنسان وقته وقراره.

**07 الأخوان والميراث** 43 صلة الرحم والتفاوض العادل — جبار وسعد يوازنان بين حفظ الحقوق وحفظ ما بقي من المودة. من دفتر الخان: حفظ الحق وصون المودة يمكن أن يسيرا معاً حين يكون الحوار منصفاً.

**08 المعلم والطفل المنطوي** 50 اكتشاف المواهب وبناء الثقة — فاضل يرى في كرار قدرةً لم تكشفها علامة القراءة وحدها. من دفتر الخان: الثقة تنمو حين نرى قدرة الطفل ونمنحها تدريباً وفرصةً مناسبة.

**09 الموظف النزيه والصفقة المشبوهة** 57 الأمانة المهنية والرزق الحلال — ماهر يختار طريقاً يحمي ضميره ولا يستهين بعواقب التوقيع. من دفتر الخان: نزاهةٌ تستند إلى معرفة الإجراءات والمشورة تحمي الضمير والناس.

**10 المتطوعة المجهولة** 64 التكافل وجبر الخواطر — مها تجعل العطاء عملاً مستداماً، وتصل الحكاية إلى الأمانة المنتظرة. من دفتر الخان: عطاءٌ يحفظ الكرامة ويمنح فرصةً للعمل يترك خيراً قابلاً للاستمرار.

---

تبدأ أرقام المتن من الفصل الأول: ص ١، ثم تتوالى الحكايات والبطاقات بالتناوب.
ملاحظة: الرواية متخيّلة؛ وتُذكر الوقائع الموثقة صراحةً حيثما وردت.

# بابٌ يفتح على حكاية

على الطريق الذي تبلله أمطار الخريف بين بابل وكربلاء، كان خان الحكايات يرفع مصباحاً أصفر لا يخطئه المسافر. في الداخل، يغلي الشاي على مهل، ويترك نُعيم قرب كل استكانٍ مساحةً لدفتر جلديّ قديم. لم يكنِ صالح أبو ناصر يسأل العابر عن ثمن جلسته؛ كان يقول إن للنقود مكاناً، وللحكاية مكاناً آخر.

من دخل الخان حمل سراً أو سؤالاً: تاجرٌ أخطأ الحساب، طبيبٌ نسي أن ينام، أبٌ يبحث عن أول كلمة بعد صمت طويل. لم يطلب صالح من أحد أن يبرهن طيبته؛ طلب فقطً حكايةً صادقة، وخلاصةً نافعةً يتركها لمنً يأتي بعده.

وفي زاوية المقهى صندوقٌ مغلق لم يمسّه صاحبه منذ عشرين عاماً. كان فيه مالٌ وأوراقٌ أُودعت أمانةً عند رجلٍ راحل، ومعها وصيةٌ لا تكفي وحدها ما لم يعرف صاحب الحق. كلما فتحِ الباب، سمع صالح وقع خطى جديدة، وسأل نفسه: هل يحمل القادم دليلاً... أم خيطاً آخر؟

**في الخان لا تُغلق الحكاية عند عتبة الباب.**

# التاجر والمفلس

إدارة الأزمات والمال

وصل عمّار إلى خان الحكايات قبيل الغروب، والغبار عالق بأكمام قميصه كأنه رافقه من الحلة ولم يرضَ أن يفارقه. عند الطريق القديم بين بابل وكربلاء، بدا الخان واطئاً أمام السماء، لكن ضوء مصابيحه جعل بابه مألوفاً للمسافرين. دفع عمّار الباب، فاستقبله رنين الملاعق ورائحة الشاي الثقيل، ثم صوت صالح أبي ناصر يرحّب به من وراء المنضدة.

جلس الشاب قرب النافذة، ووضع هاتفه مقلوباً على الطاولة. كان وجهه متعباً، لا من السفر وحده. جاءه نُعيم بكأس ماء، وسأله إن كان يريد الشاي. هز عمّار رأسه، ثم قال لصالح إنه خسر مدخراته في مشروع بيع سريع: اشترى أجهزة منزلية ظن أن الناس ستتهافت عليها، اعتماداً على إعلان جذاب وكلام صديق. لم يسأل عن كلفة النقل، ولا عن بطء البيع، ولا عن البضاعة التي بقيت في المخزن.

قال: «حسبتها فرصة، وطلعت فاتورة طويلة».

لم يواسه صالح بكلمات كبيرة. أدار إبريق الشاي عن النار، ثم سأل بهدوء: «وشنو بقي عندك؟»

أخرج عمّار دفتراً صغيراً، وراح يعدّ ما في المخزن وما عليه للمورّدين. كانت الأرقام متفرقة، وبعضها مكتوب على قصاصات. عند الباب مرّت شاحنة، فاهتز زجاج النافذة. نظر عمّار إليها كأنه يسمع الطريق يذكّره بأن الرجوع إلى الوراء ليس خياراً سهلاً.

فتح صالح دفتراً جلدياً قديماً، وسجل في صفحة جديدة اسم عمّار، ثم ترك له مساحة فارغة. لم يطلب منه أن يكتب حكايته حالاً؛ اكتفى بأن أشار إلى كرسي قريب من المدفأة الصغيرة. كان في الخان صاحب مخزن يدعى جابر، توقّف ليشرب الشاي قبل أن يكمل طريقه إلى كربلاء. استمع إلى الأرقام، ثم أخرج ورقة مطوية من جيبه ورسم عليها ثلاثة أعمدة.

قال جابر: «أول شي، فلوس البيت وحدها، وفلوس الشغل وحدها. إذا خلطتهن، ما تعرف المشروع دا يربح لو يا كل مصروفك».

حسبا معاً كلفة الإيجار والنقل والتغليف، ثم قسّماها على ما يبقى من سعر كل قطعة بعد ثمن شرائها. شرح جابر أن هذا يبيّن عدد القطع التي ينبغي بيعها لتغطية المصاريف، لا ليُسمّى المرء ناجحاً. كتب عمّار الأرقام ببطء، وصحح مرتين خطأً في الجمع.

وأضاف جابر أن يترك جانباً مبلغاً للطوارئ، ولو كان صغيراً، وألا يستدين قبل أن يعرف متى يستطيع السداد. ظل صالح يصب الشاي، بينما كان صوت المطر يبدأ خفيفاً على السقف المعدني.

قال عمّار إن جده كان يذكر النخيلة القديمة، قبل أن يصير اسم القرية في الأوراق الرسمية «النخيلة». تذكر ذلك وهو ينظر إلى خط جابر. لم يعرف إن كان الجد قد مر بالطريق نفسه؛ كانت حكاية عائلية عابرة، لا أكثر. أعاد نظره إلى الورقة، فقد صار أمامه عمل محدد يبدأ الليلة.

حين اشتد المطر، طلب عمّار من نُعيم قلماً آخر، وجلس يفرز البضاعة التي يستطيع بيعها سريعاً عن الأجهزة التي ظلّت أشهراً في صناديقها. كتب أسعاراً أقل من التي دفعها، ثم وضع جانباً القطع التي لا ينبغي أن يشتري مثلها مرة أخرى. لم يكن الحساب مريحاً، لكنه صار واضحاً بما يكفي كي لا يختبئ خلف عبارة «السوق يتحسن».

في الصباح، اتصل بأحد موردِيه. اعتذر عن تأخره، وشرح له ما يملكه وما يستطيع دفعه الآن. لم يعده بمبلغ لا يقدر عليه، واتفقا على دفعات محددة. ثم عرض المخزون الراكد على متجرين في الحلة بسعر جملة، فقبل أحدهما جزءاً منه بعد نقاش طويل. بقيت عليه ديون، لكن موعدها ومقدارها لم يعودا مجهولين.

قبل أن يغادر، طوى ورقة الحساب ووضعها في جيبه، لا في هاتفه. قال لصالح إنه سيبدأ من جديد بكمية صغيرة، بعد أن يختبر الطلب، وإنه لن يمس مال البيت ليموّل شراءً آخر.

أومأ صالح. «خلي الخطة قدامك، مو براسك بس».

ثم ناوله دفتره الجلدي. كتب عمّار بطاقة الخان بخط متأنٍ: «إذا ما عرفت كلفة الخطوة، لا تجعل حماسك يختارها عنك». أغلق الدفتر وأعاده. لم يخرج غنياً، ولم تختفِ مطالبات الموردين؛ خرج وفي جيبه جدول، وفي ذهنه مكالمة ثانية يجب أن يجريها. خلفه، بقي الشاي يفوح، والطريق يلمع تحت المطر.

لم يبتعد عمّار عن الخان كثيراً حين اهتز هاتفه في جيبه. كان أحد المتجرين قد أرسل رسالة يسأله إن كان يستطيع توفير قطع إضافية من الأجهزة التي اشتراها. وقف عند جانب الطريق، تحت مظلة محطة صغيرة، وقرأها مرتين. قبل يومين كان سيجيب بنعم قبل أن يعرف من أين يأتي بالبضاعة. الآن فتح ورقته المطوية، وراجع المبلغ المتاح بعد الدفعة التي وعد بها المورّد، ثم اتصل بالرجل.

قال له: «أكدر أجهز لك العدد الموجود عندي، بس ما أشتري غيره هسه».

جاءه الرد متردداً؛ فالزبون يريد كمية أكبر. شرح عمّار أن شراءها بالدين سيعيده إلى المأزق نفسه، وعرض أن يتصل به حين يختبر السوق على نطاق أصغر. لم يخفِ حاجته إلى البيع، لكنه لم يجعلها وعداً لا يستطيع الوفاء به. انتهت المكالمة من دون صفقة جديدة، وبقي في صدره ضيق يشبه الخيبة، لكنه كان ضيقاً مفهوماً لا فزعاً مبهماً.

عاد إلى الخان بعدما نسي قلمه على الطاولة. وجده نُعيم قد وضعه قرب دفتر صالح. كان صالح يجمع فناجين الشاي، وعلى إصبعه أثر حبر أزرق من صفحات الدفتر.

قال عمّار: «ما مشت الصفقة».

أجابه صالح وهو يناوله القلم: «مو كل باب ما انفتح اليوم يعني لازم تكسره».

لم يبتسم عمّار، لكنه شكره. ثم خرج ثانية، وقد صار يعرف أي مكالمة عليه أن يجريها صباحاً.

في الأيام التالية، لم تتبدل حياة عمّار دفعة واحدة. ذهب إلى مخزنه باكراً، وكتب على ورقة كبيرة أسعار القطع التي قرر تصريفها، ثم اتصل بالمحل الذي قبل جزءاً من البضاعة. حاول أن يرفع السعر قليلاً بحجة كلفة النقل، لكن صاحب المحل أراه عروضاً أقل في السوق. صمت عمّار لحظة، ثم وافق على السعر المتفق عليه، بعدما راجع حسابه وتأكد أن البيع سيخفف الإيجار والديون، وان لم يردّ إليه رأس ماله كله.

كان أصعب ما في الأمر أن يشرح لأمه سبب تقليص المبلغ الذي يرسله إلى البيت. جلس معها مساءً، ووضع أمامها حساب المصروفات، لا أعذاراً ولا وعوداً. اتفقا على مبلغ ثابت لشهرين، وعلى ألا يسحب من صندوق المشروع عند كل حاجة طارئة. لم تكن راضية تماماً، لكنها رأت أن الكلام صار أوضح، وأنه لم يعد يخبئ عنها اتساع الخسارة.

بعد أسبوع، عاد عمّار إلى خان الحكايات في طريقه إلى الحلة. حمل معه قائمة مختصرة بما بيع وما بقي، وأخبر صالح أن المورد قبل الدفعة الأولى، وأنه سيختبر صنفاً واحداً فقط قبل أي شراء جديد. سأل نُعيمه عن دفتره القديم، ثم ضحك حين رآه محفوظاً قرب إبريق الشاي.

قال نعيم: «الورقة ما تشتغل بدالك، بس تذكّرك وين تروح».

أخذ عمّار القائمة، وأضاف موعد مراجعة بعد شهر. كان الطريق في الخارج جافاً، إلا أن رائحة المطر بقيت عالقة بخشب الباب.

جلس عمّار هذه المرة إلى الطاولة نفسها، لكنه لم يضع هاتفه مقلوباً ليهرب من رسائله. فتحه، ورد على مورد يسأله عن الدفعة التالية، مؤكداً الموعد الذي اتفقا عليه. لم يكن قد سدد كل ما عليه، ولم يبع المخزون كله؛ غير أن ما بقي صار محصوراً في أرقام يستطيع متابعتها، لا في خوف يتضخم كلما أغمض عينيه.

صب نعيم له الشاي، وجلس جابر قريباً منه قبل أن يواصل طريقه. سأله عن نقطة التعادل التي حسباها، ففتح عمّار ورقته وقال إن مبيعاته الحالية لم تبلغها بعد، لكنه خفّض المصاريف، ولم يعد يخلط دخل البيت بإيراد البضاعة. أشار جابر إلى سطر نسي أن يحدّثه، فراجعه عمّار وأضاف كلفة التغليف الجديدة. ثم طوى الورقة بعناية؛ لم تكن وعداً بالنجاح، بل طريقة ليعرف مبكراً إن أخطأ.

على المنضدة، ناوله صالح الدفتر الجلدي. قرأ عمّار بطاقته السابقة، ولم يضف إليها حكمة أخرى. كتب تحتها، بخط صغير، أنه باع بعض المخزون بخسارة محسوبة، وأن التوقف عن الشراء أتاح له الوفاء بأول دفعة. أعاد القلم، وقال: «هسه أعرف شكد أقدر أخسر قبل لا أقرر».

أغلق صالح الدفتر، ومرر كفه على غلافه البالي. بقيت أمام عمّار أشهر من العمل، لكن خطوته المقبلة صارت محددة. وحين نهض، كان صوت الطريق وراء الباب ثابتاً، لا يدعوه إلى استعجال جديد، بل إلى أن يمضي على مهل.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## قاعدة صغيرة للمال

الخسارة التي تُعلّمك الحساب أقلّ كلفةً من نجاحٍ لا تعرف كيف تحرسه.

**من أثر المسافر**

قبل أن تبدأ أو تتوسع، افصل نفقات البيت عن نفقات المشروع، واكتب تكلفة الوحدة وما يبقى بعد المصروف. احتفظ باحتياطٍ للطوارئ، ولا تجعل الاقتراض أول جوابٍ على الخسارة.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: دوّن ثلاثة أرقام: ما تملكه، وما عليك، وما تحتاجه للشهر المقبل.

**سؤالٌ على الهامش**

هل كانت قراراتك الأخيرة مبنيةً على رقمٍ واضح أم على استعجال؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# الطبيب المنهك

التوازن النفسي وحدود العطاء

وصل رائد إلى خان الحكايات بعد أن انحسر المطر بقليل، وفي حاشية معطفه رائحة مستشفى لم تستطع الطريق أن تمحوها. أوقف سيارته قرب الجدار الطيني، وبقي ممسكاً بالمقود لحظات، كأن جسده ينتظر أمراً جديداً قبل أن يسمح لنفسه بالنزول. كان الهاتف يهتز في جيبه؛ أخرجه، قرأ اسم المتصل، ثم قلبه على وجهه.

استقبله نعيم عند الباب، وفي يده إبريق شاي يتصاعد منه بخار خفيف. قال إن صالحاً في الداخل، وإن الطريق ابتلّ عند المنعطف، فالأفضل أن يترك رائد حذاءه قرب الموقد. شكرهما الطبيب بصوت خافت، وجلس إلى طاولة تطل على الطريق. كان هدير الشاحنات يمر بين فترات السكون مثل تذكير بعيد بأنه لم يغادر المناوبة حقاً.

وضع حقيبته على الأرض، وأخرج منها ورقة مطوية. لم تكن تقريراً عاجلاً، بل جدولاً لمواعيد أدوية رجل مسنّ في ردهة الطوارئ. قرأ السطر الأول، ثم عاد إليه، وقطّب حاجبيه. اختلط عليه رقم الجرعة المكتوب بخط سريع. في لحظة، شعر بالبرد يزحف إلى أصابعه، ومد يده نحو هاتفه ليتصل بالمستشفى. أوقفه صوت صالح الهادئ من الجهة الأخرى للطاولة: «قبل أن تتصل، اشرب الشاي واجلس دقيقة. شنو اللي مخوفك؟» نظر رائد إلى الورقة، ولم يجد جواباً يطمئنه.

لم يكد رائد يشرح أن الورقة تخص مريضاً في المستشفى، حتى دخلت امرأة مسنة تحمل حقيبة قماشية، وعلى كتفها شال رمادي مبتل. عرّفها نُعيم بأنها ممرضة متقاعدة، اسمها أمينة، تنتظر سيارة تقلها إلى بلدة قريبة. جلست قرب الموقد، وطلبت ماءً ساخناً ليديها، ثم انتبهت إلى الورقة بين أصابع الطبيب.

قالت إنها لا تحتاج إلى قراءة الاسم كي تعرف هيئة من يظل واقفاً في داخله حتى وهو جالس. لم تمازحه، بل سألته متى نام آخر مرة. أجاب بعد تردد: «ما أذكر بالضبط». ثم أضاف أن زميله اتصل به مرتين، وأنه وعد بالعودة إن احتاجوه.

رفعت أمينة حاجبيها. «إذا أنت مرهق، يمكن تصير مساعدتك أذى من غير قصد. مو كل نداء لازم تجاوبه وحدك.» أشارت إلى الرقم الملتبس، وقالت إن القرار لا يُتخذ من الذاكرة حين تضطرب؛ يتصل بزميله ليتحقق من الوصفة، ويسلّم المناوبة لمن يستطيع التركيز. الرحمة، كما قالت، تحتاج عيناً صاحية ويداً تعرف متى تطلب العون.

كان رائد على وشك الاعتراض، لكنه رأى أثر الحبر وقد سال عند طيّة الورقة. أخرج هاتفه واتصل بالمستشفى. أجابه طبيب أصغر منه، فتح ملف المريض وقرأ الجرعة بوضوح. لم يكن ثمة خطأ قد وقع، لكن احتمال الخطأ صار قريباً بما يكفي ليبدل وجه رائد. شكر زميله، ثم وضع الهاتف جانباً، كأنه وضع معه حملاً ظل يحمله وحده.

فتح رائد دفتره الصغير على الطاولة، وراح يكتب خطة لا تشبه الوعود التي يطلقها في نهاية المناوبة ثم ينساها. رتّب نداءات الأسبوع مع طبيبين آخرين، وترك وقتاً ثابتاً للنوم بعد النوبات الليلية. أما الحالات العاجلة فستصل إلى الطبيب المناوب أولاً، لا إلى رقمه الشخصي وحده؛ والحالات المهمة التي تحتمل الانتظار سيعود إليها حين يستعيد انتباهه. ساعدته أمينة على مراجعة الجدول، فيما كان نُعيم يملأ كوبه كلما برد.

قال صالح إن الخطة لا تنفع إن بقيت في الدفتر. فأرسل رائد نسخة إلى زميليه، وطلب منهما أن يضيفا ملاحظاتهما قبل اعتماد الترتيب. ثم فتح هاتفه على رسالة من زوجته، قرأها بصمت، واختار الاتصال بدل أن يكتب اعتذاراً سريعاً. سمع ابنته تسأله إن كان سيحضر فطور الغد. أجاب: «إي، إذا ما صار طارئ حقيقي. وأعتذر، غبت عنكم أكثر مما انتبهت». لم تلمه زوجته؛ أخبرته فقط أن ابنته أبقت رسمة له قرب المائدة. ابتسم رائد، ووعد ألا يجعل الوعد بديلاً عن الحضور.

وحين سألته أمينة عن سبب اختياره الطب، ذكر أمه، التي كانت تحكي له عن طبيب خير اسمه سلمان الحداد، عالج أهل حي قديم بصبر ولم يرفع صوته على أحد. لم يعرف رائد عنه أكثر من ذلك؛ بقي الاسم في ذاكرته مثل حكاية بيتية دافئة. نظر صالح إلى إبريق الشاي، وسكن وجهه لحظة، ثم عاد يصغي. لم يسأل رائد عن الاسم، ولم يطلب صالح منه شيئاً. في الخارج، خف المطر، وبدا الطريق أقل عتمة.

ظل رائد صامتاً بعد ذكر الاسم، بينما أعاد صالح ترتيب فناجين الشاي على الصينية. لم يبدُ عليه اضطراب واضح؛ فقط توقف إصبعه عند حافة فنجان، ثم تابع عمله كأن الطريق علّمه ألا يجعل كل ذكرى سؤالاً. أما أمينة فطوت شالها فوق ركبتيها، وقالت للطبيب إن الجدول الذي كتبه جيد، لكنه يحتاج إلى موافقة من سيشاركونه، لا إلى موافقته وحده.

أومأ رائد، وفتح الرسائل من جديد. كان زميلاه قد أجابا: يستطيع أحدهما تغطية مساء الخميس، والثاني يبدّل معه صباح السبت. كتب التفاصيل، ثم أرسل نسخة إلى مسؤولة التمريض كي تعرف من يتلقى النداءات في كل فترة. لم يحذف رقمه من هاتف أحد، لكنه أضاف رسالة واضحة: «إذا كانت الحالة عاجلة، اتصلوا بالمناوب أولاً، وإذا احتجتم رأياً ثانياً فأنا أجيب حين أكون قادراً على التركيز».

قالت أمينة: «هكذا ما تركت الناس، بس خليت الطريق إلهم واضح». ابتسم رائد ابتسامة صغيرة، وأعاد طي الورقة التي أقلقته. هذه المرة لم يكتفِ بقراءتها؛ وضعها في جيب منفصل عن بقية أوراق العمل، كي يراجعها صباحاً بعين مرتاحة.

كان المطر يقطر من حافة السقف إلى جرن صغير قرب الباب. راقب رائد الدوائر تتسع فوق الماء، وشعر للمرة الأولى منذ أيام أن بإمكانه الجلوس من غير أن يترقب رنين الهاتف.

نهض نُعيم ليضيف حطباً إلى الموقد، فاندفعت رائحة الدخان الدافئ بين الطاولات. سألت أمينة عن موعد السيارة، فأخبرها صالح أن السائق أرسل رسالة، لكنه قد يتأخر بسبب الوحل عند المفترق. عرض رائد أن يوصلها إن اتجهت معه إلى البلدة، فقبلت بعد أن تأكدت من أن الطريق سالك، وطلبت أن ينتظرا قليلاً حتى لا يترك أحدهما الآخر في العتمة.

قبل المغادرة، أخرج رائد هاتفه واتصل بزوجته مرة أخرى. قال لها إن زميله سيغطي عنه في الصباح، وإنه سيصل إلى البيت قبل فطور ابنته، لا بعده. سمع صوت الصغيرة من بعيد تسأل إن كان سيحضر الرسمة. قال: «أريد أشوفها وأنتِ تشرحينها إليّ». لم يَعِدها بأكثر من ذلك، لكنه دوّن الموعد في تقويمه، وأرسل لزوجته صورة الجدول بعد أن وافق عليه زميلاه.

راقب صالح تلك الحركة من طرف عينه، ثم دفع إليه كيساً ورقياً فيه قطعتا خبز وشيء من الجبن. قال إن الطريق طويل، وإن الشاي لا يكفي معدة رجل لم يأكل. أخذ رائد الكيس وشكره، من دون أن يحاول دفع ثمنه. كان الامتنان هذه المرة أيسر من الاعتذار؛ ربما لأن الاعتذار احتاج أولاً إلى خطوة يراها الآخرون.

عند الباب، التفت إلى أمينة وسألها إن كانت ستعود إلى عملها التطوعي في المركز الصحي. قالت إنها تساعد يوماً واحداً في الأسبوع، حين تكون مرتاحة. لم يقل لها إن عليه أن يفعل مثلها، واكتفى بأن فتح باب السيارة.

خرج رائد وأمينة إلى الطريق، وقد ترك المطر لمبات السيارات تلمع على الإسفلت. قبل أن يركب، عاد الطبيب إلى الخان ليتأكد من أنه لم ينس حقيبته. وجدها قرب الطاولة، وإلى جانبها دفتر صالح الجلدي مفتوحاً على صفحة جديدة. لم يكتب رائد فيه حكمة طويلة؛ سجل أن طلب المساندة لا ينقص من واجبه، وأن موعداً محفوظاً للعائلة يحتاج إلى حماية مثل موعد العمل.

قرأ السطر، ثم أغلق الدفتر برفق. عند الموقد كان صالح يمسح حافة الصينية، فيما جمع نُعيم الفناجين الفارغة. لمح رائد حلقة مفاتيح صغيرة عند يد الرجل، يتدلى منها مفتاح نحاسي قديم. لم يعرف لأي باب يصلح، ولم يكن في ذهنه ما يدعوه إلى السؤال. اكتفى بأن حيّا صالحاً وأخبره أنه سيعود يوماً لشرب الشاي، لا لانتظار مكالمة.

قال صالح: «أهلاً بيك، بس تعال وإنت مرتاح». خرجت العبارة بسيطة، فحملها رائد معه من غير أن يجيب بوعد جديد. ساعد أمينة على الجلوس، ووضع حقيبتها في المقعد الخلفي، ثم انطلق ببطء حتى تجاوز بركة الماء عند المدخل.

في الطريق، رن هاتفه مرة واحدة. نظر إلى الشاشة، فعرف أنها رسالة من زميله تؤكد تبديل المناوبة. وضع الهاتف جانباً، وأبقى عينيه على الطريق. إلى جواره، كانت أمينة تتحدث عن ابنة أختها التي تنتظرها في البلدة. وعندما ظهر ضوء البيوت البعيد، شعر رائد أن الطريق لا يطلب منه أن يحمل كل شيء وحده.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

**الرحمة تبدأ بقدرةٍ مستمرة**

لا تُطفئ مصباحك كي تهدي الآخرين؛ تعلّم أن تُبقيه مضيئاً.

**من أثر المسافر**

العطاء المهني لا يعني أن تكون متاحاً في كل ساعة. حدّد وقت الراحة، رتّب الحالات بحسب حاجتها، واطلب من فريقك أن يشاركك الحمل. الاعتذار الواضح أرحم من وعدٍ لا تستطيع الوفاء به.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: اختر حداً صحياً واحداً تحمي به وقتك، وأخبر من يعنيه الأمر بهدوء.

**سؤالٌ على الهامش**

ما العمل الذي تستطيع تركه أو تفويضه من دون أن يتضرر أحد؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# الأب وابنه الصامت

الحوار والإنصات

كان المطر قد بدأ خفيفاً، ثم انهمر على الطريق دفعة واحدة، حتى اختفت أطراف الحقول وراء ستار رمادي. توقفت سيارة عباس قرب خان الحكايات، ونزل منها وهو يرفع ياقة معطفه، بينما بقي سيف في المقعد، مطأطئ الرأس أمام هاتف أسود الشاشة.

فتح نعيم الباب قبل أن يطرقه عباس. تسللت رائحة الشاي والهيل إلى الخارج، ومعها دفء الموقد وصوت قطرات تضرب السقف. قال عباس: «تعطل الطريق لو تأخرنا أكثر. ندخل شوي؟» لم يجبه ابنه، لكنه نزل وأغلق الباب بعناية.

أشار صالح إلى مقعدين قريبين من النافذة. كان هادئاً كعادته، يراقب الماء وهو يرسم مجاري صغيرة في الغبار عند العتبة. وضع نُعيم إبريقاً وصحن تمر، ثم انشغل بجمع المقاعد التي تسرّب المطر إليها.

قال عباس إنهما في طريقهما إلى زيارة خال سيف، وإن الرحلة صارت أطول مما توقعا. أومأ صالح، ولم يسأله عن سبب الصمت بينهما. أما سيف فظل يحدق في الشارع، حيث مرت شاحنة ببطء، نافضةً الماء عن عجلاتها.

صمت عباس قليلاً، ثم قال: «من الصبح أحچي وياه، ما يرد إلا بكلمة.» حرّك سيف كتفه كمن يريد الاعتراض، لكنه ابتلع الكلام. رفع صالح عينيه عن الشاي وقال بهدوء: «عندي رقعة شطرنج. تلعبان دوراً واحداً؟ بلا نصائح، إلى أن ينتهي.» نظر الأب إلى ابنه منتظراً، وهذه المرة لم يملأ الصمت بالسؤال التالي.

لم يبدُ على سيف الحماس، لكنه سحب الكرسي وجلس قبالة أبيه. أحضر نُعيم رقعة خشبية قديمة، وفي إحدى زواياها خدش رفيع تركه كوب ساخن. رتب صالح القطع بصمت، ثم تراجع إلى طرف الطاولة، تاركاً المجال لهما.

بدأ عباس اللعب، ومد يده مرتين نحو قطعة ثم أعادها قبل أن يختار. ابتسم سيف ابتسامة صغيرة، لا تخلو من ضيق. قال الأب: «لا تضحك، من زمان ما لعبت.» فرد سيف: «أنت دائماً تقول لي لا تتسرع، وهسه محتار أكثر مني.» كاد عباس يجيبه، لكنه نظر إلى صالح. لم يقل صالح شيئاً، اكتفى بتقليب كأسه بين أصابعه.

تتابعت النقلات، وتعالى صوت المطر على الزجاج. حين حاصر سيف حصان أبيه، قال عباس: «ليش صرت تترك تدريب الرياضيات؟» بقيت يد الفتى فوق القطعة، ثم أنزلها في مكانها. «لأن كل ما أجيب درجة، تقارنني بابن عمي. وإذا أخطأت، تقول هو ما كان يخطئ.»

تغير وجه عباس، لكنه لم يشرح قصده ولم يذكر ما فعله لأجل ابنه. قال فقط: «خلص دورك؟» هز سيف رأسه، وتحرك الملك خطوة إلى الوراء. عندئذ قال الأب: «أسمعك. كمّل إذا تحب.» انفرجت أصابع سيف، التي ظلت منقبضة حول حافة الكرسي. خارج النافذة، خف المطر قليلاً، لكن الطريق بقي غائماً، كأن الوصول لا يحتاج إلى استعجال.

لم يكمل سيف فوراً. حرّك بيديه قطعة الفيل، ثم قال إن المقارنة جعلته يخفي درجاته أحياناً، لا لأنه لا يهتم، بل لأنه يخاف أن تتحول كل محاولة إلى امتحان جديد. ظل عباس ساكتاً حتى انتهى، ولم يعترض حين قال الفتى إن الهاتف صار ملجأً له، وإن كثرة السؤال تجعله يهرب إلى الشاشة.

قال عباس: «ما كنت أعرف أن كلامي وصلك هيچ.» وبعد لحظة أضاف: «آسف. ما أريد أصير حكم عليك.» لم يتحول وجه سيف إلى ابتسامة، لكنه رفع نظره عن الرقعة. قالا إن لكل منهما مساءً واحداً في الأسبوع يجلسان فيه معاً، من دون هاتف، وإن الهاتف يبقى خارج المائدة وقت الطعام. أما تدريب الرياضيات، فيختار سيف له وقتاً محدداً، ويتولى الأب مراجعة الدروس معه مرة واحدة، لا مراقبته كل ليلة.

استعاد نعيم قطعة سقطت قرب الموقد، فتنبه سيف إلى شريط قماش أزرق مطرز كان يخرج من جيب أبيه. قال عباس إنه تذكار من جدتهما، التي كانت تخيط مثله. تلمس سيف حافته وقال: «كانت تعرف بيتاً بالنخيلة القديمة، تتذكر؟» قال الأب إنها حدثته عنه صغيراً، ولم يزُرْه قط. لم يضف صالح شيئاً إلى الحديث، مرر المفتاح النحاسي الصغير في جيبه، ثم طلب من نعيم أن يصب الشاي.

حين انقشع المطر، حملا الرقعة معاً إلى الرف. لم يتصافحا مصالحةً مكتملة، ولم يتبدد ما تراكم بينهما. لكن سيف وضع هاتفه في جيبه، وقال: «بالأسبوع الجاي نلعب مرة ثانية.» أجابه عباس: «إذا تريد.» وكانت الإجابة البسيطة بدايةً تكفيهما لذلك المساء.

لم يغادرا حين هدأ المطر. كانت السيارة مبللة من جهاتها، والطريق أمام الخان يلمع تحت ضوء العصر، فاقترح نُعيم أن ينتظرا حتى تخف المياه عن المنعطف. عاد عباس وسيف إلى الطاولة، لكنهما جلسا هذه المرة على جانب واحد، وبينهما رقعة الشطرنج المطوية.

قال عباس وهو يقشر تمرة: «بالزيارة، إذا سألك خالك عن المدرسة، جاوبه أنت. ما أريد أجيي بدالك.» نظر سيف إليه متفاجئاً. «وإذا سألني عن الدرجات؟» قال الأب: «جاوبه باللي ترتاح له. وإذا احتجتني، أكون يمك.» لم يكن صوته واثقاً تماماً، كأنه يجرب صيغة جديدة، لكنه لم يسحب كلامه حين سكت ابنه.

ارتشف سيف الشاي، ثم سأل أباه عن العمل الذي ينتظره صباح الغد. شرح عباس أن عليه تسليم طلبية تأخرت بسبب المطر، وأنه كان متوتراً طوال الطريق. لم يعتذر عن كل شيء دفعة واحدة؛ اكتفى بأن قال إنه أحياناً ينقل ضيقه إلى البيت، ثم سأل: «يصير هذا يضايقك؟» أجاب سيف: «إي. أحس لازم أعرف شتريد قبل لا تحچي.»

خفض عباس عينيه إلى الكأس، وترك الجواب يتنفس بينهما. عند الموقد كان نُعيم يجفف مقعداً بمنديل، فيما أخذ صالح ينقل إبريق الشاي بعيداً عن طرف الطاولة. لم يتدخل في حديثهما، ولم يحاول أن يمنحه نهاية جاهزة. اكتفى بأن أضاف ماءً ساخناً، ثم عاد إلى مقعده قرب النافذة.

حين خرجا لتفقد الطريق، وجداه قد امتلأ بماء ضحل، لكن السيارات بدأت تعبره ببطء. بقيت رائحة التراب المبتل عالقة في الهواء، واختلط بها دخان شاحنة مرت من بعيد. مسح عباس قطرات عن زجاج السيارة بكمه، بينما وقف سيف عند الباب يتابع مجرى صغيراً يشق حافة الطريق.

قال الفتى: «ما أريد نلغي الزيارة إذا الطريق صار زين. خالي ينتظرنا.»

أجاب عباس: «نروح، وإذا تعبت نوقف. مو لازم نثبت شي لأحد.» نظر سيف إلى أبيه، ثم هز رأسه. كان اتفاقهما أضيق من أن يحل كل ما بينهما، لكنه منح الرحلة المقبلة شكلاً أقل توتراً.

قبل أن يركبا، أخرج عباس من جيبه قطعة القماش الزرقاء ووضعها في محفظته، بعيداً عن الماء. قال إن جدته كانت تحتفظ بها قرب صندوق الخياطة، وإن حديث البيت القديم ظل عنده ذكرى مبهمة. لم يسأله صالح عن تفاصيلها. لمح القماش وهو يمر قرب الباب، ثم أعاد بصره إلى الدفتر الجلدي المفتوح على رف منخفض.

كتب فيه سطرين عن رجل وفتى جلسا أمام رقعة ولم ينهيا كل خلافهما، لكنهما غادرا وهما يعرفان موعد جلستهما المقبلة. لم يكتب اسميهما؛ فالصفحات تحفظ خلاصة نافعة، لا ما لا يأذن صاحبه بحفظه. انتظر حتى ابتعد صوت محركهما، ثم أغلق الدفتر برفق. قال نُعيم وهو يرفع الكؤوس: «يمكن يرجعون يلعبون.» أجاب صالح: «المهم يعرفون متى يجلسون.»

عادت الطريق إلى هدوئها شيئاً فشيئاً، وبقيت على عتبة الخان بركة صغيرة تعكس سقفاً من غيم متفرق. جمع نُعيم رقع الشطرنج، لكنه أبقى القطعتين اللتين سقطتا جانباً على الطاولة، كأنه لم يرد أن يقطع أثر اللعب سريعاً. سأل صالح إن كان عباس وابنه قد وصلا إلى قريبهم، فأجابه نُعيم بأن السيارة مضت في الطريق من غير أن تتوقف.

لم يكن في الخان ما يثبت أن اتفاقهما سيصمد أمام أسبوع مزدحم أو كلمة قاسية. عرف صالح ذلك، فلم يسمِّ ما جرى شفاءً، ولم يعدّ الصمت القديم منتهياً. لكنه تذكر كيف انتظر عباس هذه المرة جواب ابنه، وكيف استطاع سيف أن يطلب لنفسه وقتاً من غير أن يرفع صوته. كان في هذا القدر شيء يستحق أن يبقى.

عند المساء، وضع صالح الدفتر في مكانه، وأعاد الشطرنج إلى الرف. بقي المفتاح النحاسي ساكناً في جيبه، ولم يخرجه. كانت له أمانة قديمة لا يجوز أن تقودها الرغبة في اختصار الطريق، وكان يعرف أن للناس أبواباً لا تُفتح إلا حين تجتمع القرائن الصحيحة. لم تكن حكاية الأب وابنه دليلاً على شيء، لكنها ذكّرته بأن الإصغاء لا يعفي المرء من التثبت.

أطفأ نُعيم المصباح القريب من النافذة، فظهر الطريق من خلف الزجاج أهدأ مما كان. صب صالح لنفسه آخر كأس شاي، وتركه يبرد قليلاً قبل أن يشرب. في الخان، لم يكن كل مسافر يخرج متصالحاً مع ماضيه؛ أحياناً كان يكفي أن يغادر ومعه خطوة صغيرة، محددة، يستطيع أن يعود إليها.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## اسأل، ثم أصغ

أحياناً يبدأ الإصغاء حين يتوقف الأب عن تجهيز جوابه.

**من أثر المسافر**

الحوار ليس سباقاً لإثبات من الأصح. ابدأ بسؤال مفتوح، اترك مساحةً للجواب، ثم أعد ما فهمته قبل أن تعطي رأيك. الاتفاق الصغير المنتظم أمتن من مصالحةٍ كبيرة لا تتبعها عادة.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: خصص عشر دقائق بلا هاتف لشخصٍ تحبه، واسأله عمّا يشغله.

**سؤالٌ على الهامش**

أي كلمةٍ كنتَ تحتاج أن تسمعها حين كنت أصغر؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

الفصل 04

# الحرفي الذي فقد شغفه

الإتقان وصناعة الأثر

وصل داود إلى خان الحكايات قبيل المغرب، وفي كمّه غبار خشبٍ عالق لم تفلح الريح في نفضه. أوقف دراجته قرب الجدار، ثم دخل وهو يضمّ كفّيه كأنهما بردتا في الطريق. كان المطر قد ترك على كتفيه نقطًا داكنة، ورائحة الطين تتداخل مع رائحة الشاي والهيل.

رفع نعيم إبريقه عن النار وقال:

— تفضل عمي، بعدك ما ذقت الشاي؟

جلس داود عند طرف المنضدة، ووضع قبعته إلى جانبه.

— ذقته، بس مو من إيدكم.

ابتسم نعيم، ولم يلحّ عليه. كان صالح أبو ناصر يراقب من خلف صندوق الحساب، ثم جاء بالكأس بنفسه. سأل الرجل عن الطريق، فأجابه داود أن الطريق لم يتغير كثيرًا، لكن خطاه صارت أثقل. كان قد أغلق ورشته الصغيرة منذ أسابيع، لا لمرضٍ طارئ ولا لضيقٍ شديد، بل لأنه استيقظ ذات صباح ولم يجد رغبة في فتح الباب.

قالها ببساطة، ثم راح يتتبع شقًا في الخشب أمامه.

— أربعون سنة وأنا أقيس وأقص. هسه أحس كل باب أسويه يشبه اللي قبله.

في الخارج مرّت شاحنة، فاهتزّ زجاج النافذة. لم يرفع داود رأسه. سأله صالح إن كانت يده ما زالت تعرف العمل، فضمّ أصابعه ببطء، كأنه يختبرها.

— تعرف، قال. بس أنا ما أدري إذا بعدني أريدها تعرف.

ترك صالح السؤال في مكانه، وأشار إلى المطر وهو يرقّ على السقف. لم يكن جوابًا، لكنه منح الجلسة فسحة لا تضغط عليه.

عند المساء دخل رجل يحمل ملفاً بلاستيكياً، تتبعه رائحة مطر وطباشير. عرّف نفسه بأنه معلّم في غرفة تطوعية قريبة، تُفتح بعد الدوام لأطفال الحي. كان باب الغرفة يعلق كلما انتفخ الخشب بالرطوبة، وفي أسفله شقّ يحتاج إلى إصلاح قبل أن يعود الأطفال.

قال وهو يخرج صورة من هاتفه:

— ما أريد باباً جديداً، أريد هذا يرجع ينسد مضبوط. أمس ظل طفل يدفعه ويده محشورة تقريباً.

نظر داود إلى الصورة طويلاً، ثم طلب أن يذهب معه ليرى الباب. نهض قبل أن يجيبه صالح، كأن في الطلب شيئاً حرّك مفصلاً داخله. في الغرفة، كان الطلاء متقشراً قرب العتبة، وعلى الأرض آثار أحذية صغيرة. جرّب داود الباب مرتين، وأصغى إلى احتكاك حافته بالأرض.

— المفصلة العليا مرتخية، والباب نازل من جهتها. مو محتاج تبديل.

أخرج المعلم مفكاً من خزانة الأدوات، لكن داود طلب منه أن ينتظر حتى يضع حاجزاً عند المدخل، ثم ثبت الباب بوضعية تمنع سقوطه. كان يعمل بهدوء، يشرح كل حركة ولا يستعجل يده. وحين فك المفصلة، ظهر في الخشب أثر مسمار قديم صدئ.

قال المعلم إن المكان كان مخزناً قبل أن تصير الغرفة صفاً. سأل داود عن عمر الباب، فمسح الغبار عن طرفه وقال:

— ما أدري. يمكن مرّ عليه أكثر من عقد.

لم يعلّق على الذكريات، لكنه تحسس حافة الباب بإبهامه، كما يفعل من يتعرف إلى خط قديم في ورقة.

استقام الباب بعد أن أعاد داود تثبيت المفصلة ووضع قطعة خشب رقيقة تحت موضعها. فتحه المعلم وأغلقه، ثم أعاده ببطء. اختفى الصرير، وصار اللسان يدخل في مكانه من دون أن يُدفع بقوة.

ضحك طفلٌ كان ينتظر في الممر، ودخل ليأخذ حقيبته. عندها لمح داود خدشاً قرب المقبض، فمرر عليه إصبعه.

— هذا الباب صار هنا من زمان؟

أومأ المعلم. قال إنهم وجدوه في المخزن حين استأجروا الغرفة.

عاد إلى ذاكرة داود مطر قديم في قرية النخيلة. كان قد صنع يومها باباً لمخزن تاجر، ووضع في أسفله عارضة متينة كي لا يختل مع البلل. في ليلة عاصفة، سقط غصن على مدخل الدار، وبقي طفلٌ في الغرفة خلف الباب حتى جاء أهله وأخرجوه. لم يكن داود يعرف إن كان الباب نفسه ما زال قائماً، لكن النقش الصغير الذي حفره على طرفه عاد واضحاً في ذهنه: «س. ج. الحداد».

لم يقل الاسم للمعلم؛ فالذكرى وحدها لا تثبت شيئاً، ولا يعرف أين ذهبت عائلة التاجر. اكتفى بأن شدّ البرغيين الأخيرين، ثم طلب من شاب كان يساعد في ترتيب الكراسي أن يناوله شريط القياس.

— لا تقرب أصابعك من المفصلة. ثبّت الباب أولاً، وبعدين قِس من فوق ومن جوّه.

راقبه الشاب وهو يعيد القياس، ثم أراه كيف يختار موضع المسمار بعيداً عن الشقوق. وحين رجع داود إلى الخان، كان المطر قد هدأ. وضع صالح أمامه كأس شاي، وسأله إن كان سيفتح ورشته غداً.

تأمل داود يديه، ثم قال:

— أفتحها ساعة. أشوف شنو تسوي إيدي إذا ما استعجلتها.

في الصباح التالي، فتح داود باب ورشته قبل أن تشتد الشمس. علق المفتاح لحظة في القفل، ثم دار، وأصدر الباب صوته القديم نفسه. بقي واقفاً عند العتبة، يراقب ذرات الغبار وهي تعبر شعاع الضوء، قبل أن يدخل ويزيح غطاءً عن منضدة العمل.

لم تمضِ ساعة حتى جاءه المعلم، يحمل مقعداً خشبياً مكسور العارضة. كان الشاب الذي ساعدهما أمس معه، وقد حمل حقيبة صغيرة فيها مفك وشريط قياس.

قال المعلم:

— مررنا من هنا، وقلنا يمكن تقبل تصلحه.

نظر داود إلى المقعد، ثم إلى الشاب.

— هو يصلحه، وأنا أراقب.

احمر وجه الشاب، لكنه وضع الحقيبة على الأرض. شرح له داود أن يفحص موضع الكسر قبل أن يختار المسمار، وأن يثبت القطعتين على المنضدة، لا بيده وحدها. كان صوته هادئاً، وفي كل مرة استعجل فيها الشاب، أعاده إلى الخطوة السابقة من غير توبيخ.

حين انحنى داود ليمسك العارضة، وخزته ركبته. جلس، وأشار إلى الشاب أن يكمل. لم يبدُ عليه الانزعاج؛ بل تابع حركة يده، وصحح ميل المثقاب قبل أن يخترق الخشب.

قال المعلم إن المقعد سيعود إلى غرفة الأطفال. مرر داود كفه على سطحه، ثم قال:

— خليهم ما يجرّوه من طرف واحد. الخشب يتحمل، بس مو كل تحميل.

ضحك الشاب، وأعاد المقعد إلى الأرض بحذر. للمرة الأولى منذ أسابيع، بقي باب الورشة مفتوحاً بعد الظهر.

في الأيام التي تلت، صار الشاب يمر بعد دوامه، لا كل يوم، بل حين تسمح له مسؤولياته. تعلّم أن يفرز البراغي الصالحة من الصدئة، وأن يترك مساحة للحركة بين الخشب والإطار. أما داود فكان يتكلم أقل مما يعمل، لكنه لم يعد يغطي أدواته قبل الغروب.

ذات عصر، حمل المعلم لوحاً قديماً من مخزن الغرفة التطوعية. احتاجوا إلى إصلاح طرفه المتشقق قبل أن يستعملوه رفاً للكتب. وضعه الشاب على المنضدة، فظهرت في حافته علامة صغيرة محفورة، كأنها بقايا اسم طمسها الطلاء.

توقف داود عن صقل الخشب. مرر قطعة قماش على العلامة، ولم يزدها إلا وضوحاً. استعاد باب المخزن في النخيلة، وخط يده وهو يحفر قبل أعوام طويلة: «س. ج. الحداد».

سأله المعلم:

— تعرف صاحب الاسم؟

أعاد داود القماش إلى مكانه.

— تاجر قديم، اشتغلت له مرة. ما أعرف وين راحت عائلته، ولا عندي ورقة تثبت أن هذا اللوح من شغلي.

لم يحاول أن يستخرج من الاسم أكثر مما يحتمل. فالعلامة قد تشير إلى صاحب المخزن، لا إلى شيء آخر، والسنوات تغيّر الأماكن والأخشاب. طلب من الشاب أن يصور النقش لمصلحة سجل الغرفة، ثم ساعده في تثبيت اللوح داخل إطار الرف.

قال الشاب:

— نخليه مثل ما هو؟

— إي. لا تمسح علامة ما تعرف قصتها.

عاد إلى العمل، وكان صوت المبرد ينساب تحت حديث الأطفال في الغرفة المجاورة. وحين انتهيا، لم يعد اللوح باباً ولا صار أثراً محفوظاً؛ لكنه أدى عملاً جديداً، من غير أن يفقد اسمه القديم.

قبل أن يغلق الورشة، كتب داود قياسات الرف في دفتر صغير، وأضاف إليها نوع البراغي التي استخدمها. لم يكن معتاداً أن يسجل ما يعرفه؛ كان يثق بذاكرته، ثم يلومها حين تخونه التفاصيل. ناوله الدفتر للشاب.

— إذا رجعت تصلحه، لا تعتمد على عينك وحدها. اكتب القياس، حتى ما تبدأ من الصفر.

قلب الشاب الصفحات، فرأى رسوماً لأبواب ومفاصل، بعضها قديم وبعضها أضيف حديثاً. لم يسأله إن كان سيأتي غداً؛ اكتفى بأن أعاد الدفتر إلى مكانه، ووعده أن يراقب استعمال الأطفال للرف.

في المساء عاد داود إلى خان الحكايات. كان صالح يرفع الأكواب عن الطاولة، ونُعيم يمسح قطرات المطر عن حافة النافذة. وضع داود على المنضدة كيساً صغيراً فيه بقايا البراغي الصالحة، وقال إنه وجد لها علبة في الورشة بدل أن تبقى مبعثرة.

نظر صالح إلى يديه، ثم إلى الغبار العالق بأكمامه.

— فتحتها اليوم؟

— إيهِ. والشاب رجع همين. سَوّى شغل زين، بس استعجل مرتين.

ابتسم نعيم:

— يعني صار عندك تلميذ؟

هز داود رأسه، كأنه لا يريد أن يمنح الأمر اسماً كبيراً.

— صار عنده شغل يتعلمه، وأنا عندي سبب أبقى للظهر.

لم يسأل صالح عن النقش، ولم يطلب منه أن يحكي أكثر. أدار في راحته المفتاح النحاسي الصغير، ثم أعاده إلى جيبه. أمام داود، بردت كأس الشاي ببطء، فيما عبرت شاحنة الطريق ورجّ زجاج الخان. هذه المرة رفع رأسه عند صوتها، ثم نهض ليحمل الكأس إلى الداخل.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## الإتقان رسالةٌ صامتة

الأثر لا يرفع صوته؛ يكفي أن يبقى الباب واقفاً حين تهبّ الريح.

### من أثر المسافر

قيمة الحرفة ليست في شهرتها، بل في نفعها وسلامتها. علّم مهارتك لمن يأتي بعدك، ودوّن ما تعلّمته من الأخطاء كما تدوّن ما نجح. العمل المتقن يواصل حديث صاحبه بعد رحيله.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: أصلح شيئاً صغيراً، أو علّم مهارةً نافعةً لشخصٍ آخر.

### سؤالٌ على الهامش

من الشخص الذي استفاد من عملٍ أنجزته ولم تخبرك الأيام؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

الفصل 05

# الكاتب الباحث عن الحقيقة

التفكير النقدي والتحقق

وصلت نور إلى خان الحكايات قبيل الغروب، والغبار عالق بحافة عباءتها، فيما كانت قطرات مطر متفرقة تلمع على زجاج الباب. وضعت هاتفها قرب استكانِ الشاي، ولم تخلع معطفها. كان وجهها متجهماً، وعيناها تلاحقان مقطعاً قصيراً يتكرر على الشاشة: شاحنة تعبر منعطفاً، ثم صوت رجل يصرخ، وبعده لقطة لامرأة تجمع أكياساً مبعثرة عن الإسفلت.

قالت لنعيم، وهي ترفع الهاتف:

— هذا السائق دهس بضاعة امرأة، وهرب. أريد أن أنشر اسمه الليلة.

كان نعيم يمسح الطاولة، فتوقف لحظة ونظر إلى صالح. أما صالح فواصل صب الشاي، حتى استقر لونه الداكن في الكأس.

قال بهدوء:

— المقطع وصل قبلك، لكن هل وصل كاملاً؟

أجابت نور أن عشرات الحسابات نشرته، وأن صاحب أحدها كتب اسم السائق ورقم شاحنته. لم تجلس؛ بقيت واقفة كأنها تخشى أن يسبقها خبر آخر. أشار صالح إلى المقعد المقابل، ولم يطلب منها أن تصدق رأيه، بل سألها متى صور المقطع، ومن شهد الحادث، وهل اتصلت بصاحبة الأكياس.

أطرقت إلى الهاتف. كان محررها ينتظر المادة، وقد أرسل رسالتين متعجلتين. قالت:

— إذا تأخرت، سينشرها غيري.

رد صالح:

— وإذا استعجلت، قد تسبقين الحقيقة بخطوة وتؤذين إنساناً.

خفتت أصوات الطريق خلف المطر، وبقيت إشارة الهاتف تومض على الطاولة. جلست نور أخيراً، وفتحت سجل الرسائل.

بدأت نور من رقم الناشر الأول، لا من الاسم المكتوب تحت الفيديو. ردّ عليها شاب قال إنه أعاد نشره كما وصله، ولم يعرف مكان التصوير. طلبت النسخة الأصلية، فأرسل رابطاً قديماً كان قد حفظه في هاتفه. ظهرت على الشاشة واجهة الحساب وتاريخ نشر يسبق الحادثة المزعومة بأشهر. لكنها لم تكتفِ بالتاريخ؛ فالنسخة قد تكون أعيد رفعها، كما قالت لنفسها.

خرجت إلى مدخل الخان واتصلت بمراسلة تعرف الطريق. من صوت المطر، التقطت اسم الاستراحة القريبة من المنعطف، ثم سألت نُعيم إن كان سجل المرور المحلي متاحاً لأخبار الطريق المنشورة. دلّها على مكتب صغير يحتفظ بنشرات يومية عامة، لا أسرار فيه ولا ملفات خاصة. وبعد مكالمتين، وجدت خبر إغلاق المسار في اليوم نفسه الذي صُوّر فيه المقطع، بسبب انقلاب صناديق من شاحنة متوقفة.

كانت امرأة تبيع الخضار قرب المحطة قد ظهرت في الفيديو. اتصلت بها نور، وسمعت منها أن السائق عاد ليساعدها، وأن أحدهم صوّر البداية بعد أن غادر آخرون. قالت المرأة إنها لم تطلب نشر المقطع، وإن الاسم المتداول ليس اسم السائق الذي كان معها. سكتت نور، ثم أعادت الفيديو بإصبعها. لم يظهر في الجزءِ المنشور ما يكفي لمعرفة ما حدث قبل الصراخ أو بعده.

قال نعيم وهو يضع أمامها استكاناً جديداً:

— يعني الصورة ما حچت كل السالفة.

أجابته:

— ولا الكلام اللي تحتها.

فتحت حاسوبها، وبدأت تكتب أسئلة جديدة بدلاً من العنوان الجازم. في الداخل، رن هاتفها؛ كان المحرر يسأل أين الخبر.

طلب المحرر نشر الاتهام كما هو، وقال إن التحقق يمكن أن يأتي لاحقاً. أحست نور بحرارة في وجهها، لكنها لم ترفع صوتها. شرحت له أن التاريخ لا يطابق، وأن الشاهدة تنفي الرواية المتداولة، ثم أرسلت إليه الصور والتسجيلات التي حصلت عليها بإذن أصحابها. جاءها رد مقتضب: «أنتِ تتحملين التأخير». أغمضت الهاتف لحظة، ثم عادت إلى عملها.

نشرت توضيحاً في صفحة الجريدة قبل منتصف الليل: المقطع قديم ومبتور، ولا يثبت اتهام السائق، والمرأة التي ظهرت فيه قالت إنه عاد لمساعدتها. لم تضع اسمه ولا صورته، وأضافت أن الجريدة تحقق من مصدر المقطع ومن ظروف تصويره. بعد قليل، اتصلت بالمرأة واعتذرت لها عن الاتصال المتأخر وعن اضطراب يومها. ثم اتصلت بالسائق عبر وسيط، وقالت بوضوح إنها لن تستخدم اسمه في خبر لم يثبت.

في اليوم التالي، بقي غضب المحرر في رسائله، وبقي تصحيح نور منشوراً إلى جانب الخبر الأول الذي سحبه الموقع. لم تخرج من الخان منتصرة؛ كانت تعرف أن كلمة الاعتذار لا تمحو ما أصاب الناس، لكنها قد تمنع ضرراً آخر. وحين طلبت من نُعيم صحيفة قديمة لتغليف ملفاتها، ناولها مجلداً ورقياً تبرع به أحد القراء.

بين صفحاته وقعت عينها، مصادفة، على نعي قديم لتاجر اسمه سلمان جاسم الحداد. ذكر النعي اسم حي، لا عنواناً ولا أقارب يمكن التثبت منهم. قرأت السطر مرتين، ثم أعادت الورقة إلى موضعها بعناية.

كان صالح قد لمح الاسم من طرف عينه. بقيت يده قرب فنجانه، ساكنة أكثر من المعتاد، فيما واصل نُعيم ترتيب الكراسي. لم يسأل صالح نور عما قرأت، ولم تسأله هي عن سبب صمته. أغلقت المجلد، وقد أدركت أن خبراً قديماً، مهما بدا لافتاً، ليس دليلاً على شيء آخر.

ظلّ المجلد مفتوحاً أمام نور، والورقة القديمة بين صفحتيه كأنها لم تكن تنتظر قارئاً بعينه. لم تمد يدها إليها ثانية. سألت نُعيم عن مصدر الصحيفة، فقال إن المجلد جاء من مكتبة أغلقت قبل أعوام، وإن أوراقه جُمعت كما هي. لم يكن يعرف من رتّبها، ولا متى وصلت إلى الخان.

قالت نور:

— أقدر أدوّن اسم الصحيفة وتاريخ النعي؟

أومأ صالح، ثم أضاف:

— إذا كان هذا كل ما تقوله الورقة، فاكتبي ما تقوله فقط.

لم يكن في صوته لوم، لكن الجملة جعلتها تنظر إليه. كان يلف كُمّ قميصه عن معصمه، وعليه أثر حبر قديم لا تعرف إن كان حقيقياً أم من ظِلال المصباح.

نسخت اسم الجريدة وتاريخ العدد، ثم أعادت المجلد إلى نعيم. لم تسأل صالح عن التاجر، ولم تلمّح إلى أن الاسم قد يكون مفتاحاً لخبر أكبر. فتحت حاسوبها، وكتبت في ملاحظاتها: «نعي، اسم حي، لا أكثر». أضافت أن الأرشيف يحتاج إلى فهرسة، ثم أغلقت الملف.

في الخارج، مرّت شاحنة بطيئة فاهتز الزجاج. تذكرت المقطع الذي كاد يتحول إلى حكم، فحذفت من مسودتها كلمة «مصادفة» قبل أن تجعل منها عنواناً مثيراً. لم تكن تعرف إن كان الاسم سيفيد أحداً يوماً، عرفت فقط أن الورقة لا تمنحها حق ادعاء ما لم تقله.

صباحاً، عادت نور إلى مكتب الجريدة وفي يدها نسخة من التصحيح. كان محررها واقفاً قرب آلة الطباعة، يقرأ رسائل القراء على هاتفه. أشار إلى الشاشة وقال إن بعضهم اتهمها بالتراجع تحت الضغط، وإن الإعلان الذي كان سيصاحب الخبر تأجل. لم تجادله. وضعت أمامه سجل النشر والنسخة الأصلية للمقطع، ثم قالت إن الخطأ بدأ بعنوان جازم قبل اكتمال التحقق، وإنها مستعدة لوضع اسمها تحت التصحيح.

قال بحدة:

— كان عندنا سبق، وضيّعتيه.

أجابت:

— كان عندنا مقطع، مو دليل.

سكت لحظة، ثم عاد إلى هاتفه. لم يعتذر، ولم تطلب منه ذلك. أرسلت نور للموقع صيغة أوضح، تتضمن أن المادة الأولى نُشرت بلا تثبت كافٍ، وأنها سُحبت، وأن الجريدة تعتذر لمن تضرر من تداول الاتهام. لم تذكر اسم السائق، حتى وهي تعرفه الآن.

بعد الظهر، مرّت على بائعة الخضار في المحطة. اشترت منها كيساً صغيراً من الليمون، واعتذرت وجهاً لوجه عن المكالمة المتأخرة وعن إزعاجها. قالت المرأة إن الاعتذار طيب، لكنها تمنت لو لم ينتشر الفيديو أصلاً. لم تحاول نور أن تشرح لها أن الضرر لا يُسحب بزر؛ حملت الكيس ومشت.

عندما وصلت إلى الخان، كان صالح يجمع فناجين الصباح. أخبرته أنها صححت الخبر، ولم تضف أنها فعلت ذلك بسهولة. قال وهو يرفع إبريق الشاي:

— أحياناً أصعب سطر هو السطر الذي يحمل اسمنا.

جلست، ووضعت الهاتف مقلوباً على الطاولة.

لم يطل جلوس نور هذه المرة. رتبت أوراقها، وتأكدت من أن صورة النعي بقيت في ملاحظاتها بوصفها إحالة إلى عدد قديم، لا دليلاً على صلة بين أشخاص. ثم طلبت من نُعيم عنوان المكتبة التي جاء منها المجلد، كي تسأل أصحابها عن فهرسة الصحف، لا عن حياة التاجر. دوّن العنوان على قصاصة صغيرة، وناولها إياها.

قالت لصالح:

— إذا عثرت على سجلّ واضح، أرجع وأسألك قبل أن أكتب.

رفع عينيه إليها. لم يبدُ مرتاحاً ولا قلقاً، بل بدا كمن يزن الوعد على قدره.

— وإذا لم تعثري، لا تجعلي الفراغ جواباً.

طوت القصاصة ووَضعتها في حقيبتها.

كان المطر قد توقف، لكن الطريق ظل يلمع عند المنعطف، وتفوح من التراب رائحة باردة. قبل أن تخرج، سمعت رنين هاتفها؛ رسالة من المحرر يطلب فيها أن تتولى متابعة موضوعات التحقق في صفحة الجريدة. لم يكن عرضاً كريماً تماماً، ولا عقوبة صريحة. قرأت الرسالة، ثم أغلقت الهاتف من غير رد، تاركةً لنفسها وقتاً لتفكر.

ناولها نعيم استكاناً أخيراً. شكرته، وخرجت إلى الطريق. بقي صالح عند الباب حتى ابتعد صوت خطواتها، ثم عاد إلى الداخل. لم يفتح المجلد، ولم يفتش عن اسم آخر. اكتفى بأن أعاد القصاصة التي سقطت قرب الكرسي إلى نُعيم، ووضع إبريق الماء على النار.

في دفتر الخان، كتب لاحقاً سطراً عن امرأة لم تجعل سرعة الخبر أسبق من حق الناس. ثم أغلق الدفتر، بينما أخذ الطريق يستعيد صوته تحت عجلات المسافرين.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## توقّف قبل أن تنشر

الخبر الذي لا يصبر على سؤالٍ واحد قد يظلم إنساناً أعواماً.

### من أثر المسافر

افصل بين ما شاهدته وما استنتجته. اسأل: من المصدر؟ متى وقع الأمر؟ ما الجزء الناقص؟ وهل يملك الطرف المتضرر فرصةً للرد؟ التصحيح الواضح فضيلةٌ لا هزيمة.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: تحقّق من معلومةٍ متداولة عبر مصدرين مستقلين قبل مشاركتها.

### سؤالٌ على الهامش

لو كان الخبر عنك، ما الدليل الذي كنت ستطلبه؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# المبرمج والوقت الضائع

التركيز والانضباط الرقمي

وصل حسين إلى خان الحكايات قبيل الغروب، وقد سبقه هاتفه إلى الباب؛ ظل يهتز في جيبه كعصفور محبوس، فيما كان صوت الطريق يتلاشى خلفه بين الغبار ورذاذ مطر خفيف. وضع حقيبته على المقعد، ثم أخرج الحاسوب وفتحه قبل أن يطلب الشاي.

قال نعيم وهو يضع الاستكان أمامه:

— أخليه يمك لو أخاف عليه من هالرسائل؟

ابتسم حسين، ثم انقطع عن ابتسامته حين أضاءت الشاشة. قرأ إشعاراً، ورد على آخر، وانتقل إلى منصة لم يعرف كيف وصل إليها. كان فريقه ينتظر منه ترتيب واجهة مشروع صغير، وقد وعدهم أن يرسلها صباحاً. منذ ثلاثة أيام يقول لهم: بقيت رتوش.

راقبه صالح أبو ناصر من وراء المنضدة، ولم يسأله عن العمل. اكتفى بأن دفع نحوه صحن تمر، ثم عاد إلى تجفيف الأكواب. في الخارج، مرّت شاحنة فاهتز الزجاج، وتبعها صمت قصير ملأه تقاطر الماء من حافة السقف.

أغلق حسين الحاسوب، ثم فتحه ثانية. قال كأنه يعتذر للمقهى:

— أعرف شأسوي، بس كلما أبدأ يطلع لي شي.

أجابه صالح بهدوء:

— يمكن الشيء يطلع لأن الباب مفتوح.

نظر حسين إلى هاتفه، ولم يعرف إن كان صالح يقصد باباً بعينه. وضع الجهاز مقلوباً، لكنه أبقاه قريباً من يده.

في الطاولة المجاورة جلس رجل نحيل يضم ورقة بيضاء إلى دفتره. كان خطاطاً عائداً من زيارة لأخته في كربلاء، وقد طلب من نُعيم حبراً أسود لا أكثر. أخرج قصبة صغيرة، وسوّى طرفها بسكين، ثم غمسها في المحبرة.

راقبه حسين وهو يكتب سطراً واحداً ببطء. لم يرفع عينه عن الورقة، ولم يتوقف حين رن هاتف قريب منه. وحين فرغ، ترك الحبر يستقر، كأن للكلمات وقتاً لا يصح استعجاله.

سأله حسين:

— تكتب شي مهم؟

— سطر من رسالة لأمي. أريدها تقراه من دون ما تتعب.

لم يزد الرجل. طوى الورقة بحذر ووضعها في ظرف، ثم مسح القصبة بقطعة قماش.

فتح حسين حاسوبه من جديد، واختار مهمة واحدة: ترتيب صفحة الدخول. وضع الهاتف في حقيبته، وأدار الحاسوب بحيث لا يرى انعكاسه على الشاشة. بعد عشرين دقيقة، توقفت يده. طلب الشاي، وخرج إلى العتبة يتنفس رائحة التراب المبتل. عاد قبل أن يبرد الاستكان، وأكمل ما بدأه.

قال نعيم وهو يلم الصحون:

— هالمرة ما فتحت غير صفحة الشغل.

رد حسين:

— لا تفرح، بعدني أقاوم.

كان في صوته شيء من المزاح، وشيء من الدهشة. أرسل للفريق صورة أولية، ثم كتب موعداً جديداً لإتمام العمل، أقرب من الموعد الذي أخفق فيه. لم يصفق له أحد؛ وصلته رسالة قصيرة: «تمام، ننتظر النسخة». كانت كافية ليجلس مستقيم الظهر.

في الأسبوع التالي عاد حسين إلى الخان، لا ليهرب من العمل، بل ليكمله. أخبر نُعيم أنه أغلق الإشعارات في ساعات محددة، وقسّم المهمة إلى فترات، يفصل بينها مشي قصير أو كأس ماء. لم ينجح كل يوم؛ في مساء واحد عاد إلى التصفح حتى تأخر، لكنه أطفأ الهاتف في اليوم التالي ولم يجعل التعثر عذراً لتأجيل البقية.

أنهى صفحة المشروع قبل الموعد، ثم ساعد جمعية صغيرة تعرف إليها عبر زميله على ترتيب فهرس أسماء قديمة، بموافقة أصحاب السجلات. لم يدخل إلى حسابات أحد، ولم يطلب أوراقاً لا يحتاجون إليها. اكتفى بنسخ الأسماء والتواريخ التي أُذن له بمراجعتها، ووضع ملاحظة عند كل موضع غير واضح.

بين سجلين ورقيين وجد اسم قرية مكتوباً «النخيلة القديمة» في أحدهما، و«النخيلة» في الآخر. قال الرجل الذي أحضر السجلين إن التسمية الرسمية تحدّثت في وثائق لاحقة، ثم أشار إلى تاريخ كل ورقة، من غير أن يجزم بشيء وراء ذلك. دوّن حسين الاختلاف كما هو، لا أكثر.

كان صالح يمر قرب الطاولة، فتوقف لحظة عند الاسمين. لم يلمس الورقتين، وسأل عن مصدرهما وإذن أصحابها. أجابه حسين، فهز صالح رأسه ومضى إلى المنضدة. عاد الخطاط في ذلك المساء، فناول حسين ظرفاً صغيراً؛ كتب له فيه اسمه مضبوطاً، بعدما نسي حسين نقطة في رسالته الأولى. ضحك الاثنان. وقبل مغادرته، أغلق حسين حاسوبه ووضع هاتفه في جيبه، فيما بقيت رائحة الشاي عالقة بكمّه.

لم يكد حسين يبلغ الباب حتى ناداه صالح:

— تركت ظرفك.

التفت، فرأى الظرف الصغير قرب المحبرة. عاد خطوتين، فأخذه، وشكر الخطاط الذي كان يتهيأ للمغادرة. لم يفتح الرسالة؛ دسّها في حقيبته، ثم وقف عند العتبة يراقب الطريق وقد خف المطر، وبقيت على الحصى لمعة تشبه خيطاً من زجاج.

حين رجع إلى الطاولة، كان نُعيم يرفع إبريق الشاي عن النار. قال حسين إن الفريق وافق على النسخة، لكنهم اكتشفوا مشكلة في ترتيب بعض الأسماء، فصار عليهم مراجعة الفهرس قبل اعتماده. لم يبدُ مستاءً هذه المرة. أخرج ورقته، وحدد المواضع المختلف عليها، ثم كتب بجانب كل اسم سؤالاً واضحاً كي لا يحوّل نقص المعلومة إلى تخمين.

جلس صالح قريباً منه، يحمل دفتر الخان الجلدي، ومرر إبهامه على حافته من غير أن يفتحه.

— وإذا ما عرفتم؟

— نخليها غير محسومة، ونرجع لأصحاب السجلات.

ابتسم صالح ابتسامة صغيرة.

— زين. مو كل فراغ لازم نعبيه.

على الطاولة، استقر الهاتف داخل الحقيبة، ساكناً هذه المرة. لم يكن الصمت انتصاراً كبيراً؛ كان مجرد مساحة تكفي لقراءة السطر حتى نهايته. فتح حسين الملف، وقارن تاريخين، ثم كتب ملاحظة عن اختلاف اسم النخيلة في السجلين، مؤكداً أن تحديث التسمية لا يثبت وحده صلة بين الوثيقتين أو أصحابها. رفع رأسه، فوجد الخطاط قد مضى، وظل أثر الحبر جافاً على الورقة.

في اليومين التاليين، راجع حسين الفريق عبر اتصال قصير، ثم عاد إلى الخان ومعه نسخة مرتبة من الفهرس. لم يحملوا الأسماء إلى مكان عام، كما أوضح، بل أرسلوا النسخة إلى الجهة التي يملك أصحابها سجلاتها، بعد أن أكدوا لهم ما سيُحفظ وما سيُحذف. قال نعيم وهو يضع الخبز قربه:

— يعني خلصت؟

— خلص الجزء اللي أقدر أضمنه. الباقي لأصحابه.

كان صالح يصغي وهو يصلح مزلاج النافذة. لم يعلق على العمل، لكنه توقف حين سمع عبارة «الجزء الذي أقدر أضمنه». أخرج من جيبه مفتاحاً نحاسياً صغيراً، قلبه بين إصبعيه، ثم أعاده إلى جيبه قبل أن ينتبه حسين إليه. لم يسأل الشاب عن المفتاح، ولم يسأل صالح عن الأسماء؛ لكل شيء وقته، وبعض الأسئلة لا تنفعها العجلة.

في المساء، وصل رد الفريق: قبلوا النسخة، وأرفقوا قائمة قصيرة بالمواضع التي تحتاج مراجعة من أصحابها. أرسل حسين اعتذاراً عن تأخره السابق، ولم يضع بعده مبرراً. قرأ الرد مرة، ثم أغلق الحاسوب.

— شلون راح تثبت على هالنظام؟ سأله نعيم.

— ما أضمن كل يوم. بس أحدد وقتاً، وإذا خبصت أرجع من ثاني يوم، مو أترك الأسبوع كله.

أومأ صالح، ثم ملأ استكاناً جديداً. كان الشاي داكناً، ورائحته تمتزج برطوبة الخشب. في الخارج هدأ هدير الشاحنات لحظة، فسمعوا قطرات تتساقط من السقف واحدة بعد أخرى. طوى حسين ورقته بعناية، ووضعها في الحقيبة لا في جيبه، كأنه تعلّم أن للمعلومة مكاناً ينبغي ألا تضيع منه.

قبل أن يغادر، سأل حسين صالح إن كان يستطيع أن يترك نسخة من ملاحظاته في الخان، لعل أحداً يحتاج إلى مثال في ترتيب الأوراق. أجابه صالح:

— خلي نسخة ما بيها أسماء، ولا شي يرجع لأصحاب السجلات.

فهم حسين، فحذف الأسماء والتواريخ التفصيلية، وأبقى وصفاً لطريقة المقارنة وتسجيل مواضع الشك. لم يحتج الأمر إلى نقاش طويل؛ راجع نُعيم الصفحة معه، ثم وضعاها في ملف صغير قرب دفتر الخان.

وقف حسين عند الباب، وأخرج هاتفه ليتأكد من موعد الحافلة. ظهرت إشعارات كثيرة، لكنه قرأ رسالة واحدة من زميله، ثم أغلق الشاشة. قال مبتسماً:

— هسه أروح قبل لا أفتح باب ثاني.

ضحك نُعيم، بينما رفع صالح يده مودعاً من خلف المنضدة.

بعد أن ابتعد حسين، عاد صالح إلى الدفتر الجلدي. فتحه عند صفحة خالية، وكتب سطراً عن شاب تعلّم أن يترك بعض الخانات فارغة حتى يأتي ما يملؤها على وجه صحيح. لم يكتب اسماً ولا تفاصيل عمل، ثم أغلق الدفتر.

بقي المفتاح النحاسي في جيبه، وبقيت الطاولة التي جلس إليها حسين تحمل دائرة باهتة من أثر الاستكان. مسحها نُعيم بخرقة نظيفة، وترك النافذة مواربة ليدخل هواء الطريق. مرّت شاحنة، وارتفع هديرها ثم خفت خلف المطر.

في تلك الليلة، لم يتغير الطريق، ولم تنتهِ رسائل الهواتف في العالم. لكن حسين حمل معه خطة صغيرة يمكنه تنفيذها غداً، واعتذاراً قاله من غير أن يحتمي بعذر. أما الخان، فاحتفظ بنسخة مجهولة من طريقة نافعة، وبسطر جديد في دفتره؛ سطر لا يَعِد بأن الوقت سيتسع، بل يذكر أن بعض الأعمال لا تستقيم إلا حين يُمنحها المرء انتباهه.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## احمِ انتباهك

كل إشعارٍ يطلب انتباهك، وليس كل ما يطلبه يستحقه.

**من أثر المسافر**

التركيز ليس قوةً خارقة؛ إنه بيئةٌ تصنعها. أوقف الإشعارات غير الضرورية، قسّم المهمة، واسترح بين فترات العمل. استعمل التقنية أداةً، ولا تسمح لها أن تختار يومك نيابةً عنك.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: جرّب فترة عملٍ واحدة مدتها خمسٌ وعشرون دقيقة والهاتف بعيد.

**سؤالٌ على الهامش**

ما الشيء الذي أنجزته حين منحتَه انتباهك كاملاً؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# الأخوان والميراث

صلة الرحم والتفاوض العادل

وصل جبار وسعد إلى خان الحكايات قبيل المغيب، وقد التصق الغبار بثيابهما كأنه رافقهما من باب المحكمة. كانا قد خرجا من البلدة قاصدينها، ثم باغتتهما عاصفة قلبت الطريق ستاراً من المطر والتراب، فأشار نُعيم إلى الخان قبل أن تختفي معالم الإسفلت. دخل جبار أولاً، يتبعه أخوه بصمت، وبينهما ملف منتفخ وأرض لم تعد تتسع لحديثهما.

وضع صالح إبريق الشاي على الموقد، ولم يسألهما عمّن بدأ الخصام. قال جبار وهو يفك أزرار سترته المبتلة: «إذا وصلنا للمحكمة، كل واحد يحچي وحده، ويمكن نخسر أكثر من الأرض». رد سعد: «وأنا ما أريد أتنازل عن حقي حتى يرضى». لم يرفع أحدهما صوته، لكن الكلمات خرجت مشدودة، كأنها حبال تنتظر من يشدها أكثر.

أشار صالح إلى مقعدين متقابلين، وبينهما طاولة صغيرة. «قبل ما تقررون شتسوون، اكتبوا شتريدون وشنو تخافون منه. مو حتى يربح واحد على الثاني؛ حتى تسمعون كلامكم بلا غضب». ناول كلاً منهما ورقة وقلمين. تردد جبار، ثم جلس. أما سعد فظل واقفاً لحظة، ينظر إلى المطر المتدفق من المزاريب، قبل أن يجرّ كرسيه.

في الزاوية، كان نُعيم ينفض الماء عن عباءة عابرٍ دخل للتو. أغلقت العاصفة الطريق، وهدأ هدير السيارات وراء جدران الخان. على الرف، استقر دفتر صالح الجلدي بين فنجانين، ينتظر حكاية أخرى لا تعرف بعد أين تنتهي.

كتب جبار بسرعة، ثم أعاد قراءة ما خطه وشطب سطراً. كتب أنه يريد قسمة واضحة تحفظ نصيبه من الأرض، ويخشى أن تضيع الحدود القديمة بين الأوراق الجديدة. أما سعد فظل يحدق في الورقة، حتى قال صالح: «اكتبها مثل ما هي، مو مثل ما تتمنى الناس تسمعها». عندها كتب أنه يريد معرفة المساحة التي تخصه، ويخشى أن يتحول الخلاف إلى قطيعة بينه وبين أخيه.

مرّت دقائق لم يسمع فيها سوى خشخشة القلم ونقر المطر على ألواح السقف. دفع جبار ورقته إلى منتصف الطاولة، لا إلى أخيه. قرأها بصوت منخفض، ثم قرأ سعد ورقته. لم يعتذر أحدهما بعد، لكنهما لم يقاطعا بعضهما أيضاً. سأل صالح: «من الشخص اللي تثقون أنه يسمع الاثنين؟» أجاب سعد باسم رجل من البلدة، ثم أضاف جبار أن يكون الوسيط من خارج العائلة كيلا يُقال إنه مال لأحدهما.

اقترح نعيم أن يستعينا بخبير مساحة مستقل، لا يعرفه أي منهما، وأن يطلبا منه قياس الأرض وحدودها اعتماداً على ما يتفقان على عرضه من مستندات. قال جبار: «بس ما نوقّع شي قبل ما نفهمه». أومأ سعد: «ولا واحد يفرض قسمة على الثاني». ثبت صالح الورقتين تحت فنجانين كيلا تطويهما نفحة الهواء، ثم صب الشاي.

على حافة الطاولة، لمح جبار المفتاح النحاسي الصغير قرب يد صالح. لم يسأل عنه. لكنه أشار إلى ختم مرسوم في زاوية ورقة قديمة كانت داخل ملفه، وقال إن الشاهد الذي يعرفه عن قوافل سلمان كان يصف ختم الرسائل بعناية.

لم يبدُ على صالح أنه فوجئ، لكنه أبعد الفنجان عن الورقة كيلا تبتل. قال جبار إن الشاهد رجل مسن كان يرافق قوافل التاجر سلمان إلى النخيلة، وإنه سمعه يتحدث عن عادة سلمان في إحكام رسائله بختم يترك أثراً صغيراً عند الحافة. وأضاف، من غير أن يجزم بشيء، أن الرجل روى ذلك في مجلس قديم، حين سأله جبار عن طريق القوافل.

سأل صالح: «هو شاف سفره بنفسه؟» قال جبار: «إي، رافقه بطريق النخيلة، بس ما عندي منه كلام عن أوراق أو أمانات». بقي صالح ساكتاً لحظة، ثم هز رأسه. «إذن شهادته عن السفر فقط. ما نحملها أكثر مما تعرف». لم يطلب من جبار اسم الرجل، ولم يفتح درجاً أو يخرج رسالة. عاد إلى إبريق الشاي، كأن حدود الكلام تستحق عناية مثل حدود الأرض.

خف المطر بعد قليل، وظهرت الطريق من النافذة خطوطاً لامعة بين الغبار. اتفق الأخوان أن يتصلا بالوسيط في الصباح، وأن يطلبا خبيراً مستقلاً قبل اتخاذ أي خطوة أخرى. تبادلا رقمَي الهاتف، ثم أعاد سعد إلى ملفه الأوراق التي كان قد أخرجها. لم تُحل القسمة في الخان، ولم يخرج أحدهما متنازلاً عن حقه؛ لكنهما غادراهما وهما يعرفان موعداً وطريقاً واضحين للمتابعة.

عند الباب، قال سعد: «نروح سوا للوسيط؟» أجابه جبار: «إي، إذا نسمع بعض». لم تكن مصالحة مكتملة، غير أن يد جبار استقرت على كتف أخيه لحظة، ثم سحبها بهدوء. عاد صالح إلى الدفتر الجلدي، ودوّن أن القياس قد يمنع الخلاف من ابتلاع الأرض والقرابة معاً. أما اسم سلمان، فتركه في ذاكرته كما سمعه: شاهداً على سفر قديم، لا أكثر.

ظلّ صالح لحظة فوق السطر الذي كتبه، ثم أغلق الدفتر حين سمع جبار ينادي من عند الباب. كان المطر قد خف، لكن الهواء يدفع رذاذه إلى الداخل. عاد الأخوان إلى الطاولة؛ نسي سعد قفازه، وجاء جبار به من قرب المدخل. وضعه أمامه من غير تعليق، فتلقاه سعد بإيماءة صغيرة.

قال جبار إن الشاهد الذي ذكره لا يزال في ناحية قريبة، وإنه يستطيع أن يسأله عن القوافل إذا التقاه. لم يبدُ صالح راغباً في متابعة الحديث، لكنه قال: «إذا سألته، خله يحچي عن اللي شافه بنفسه. لا عن أوراق ما لمسها». أجاب جبار: «هذا اللي أعرفه. هو كان يرافق سلمان بالطريق، مو أكثر». استقر الاسم بينهما للحظة، ثم عاد جبار إلى ملف الأرض وأغلقه.

سأل سعد عن موعد المحكمة. أخرج جبار ورقة مطوية، وقرّبها إليه كي يقرآها معاً. كان الموعد بعد أيام، ولم يكن اتفاقهما على الوسيط يلغي حضورهما ولا يغيّر شيئاً في الأوراق القائمة. شرح صالح بهدوء أن عليهما إبقاء مستنداتهما كما هي، وألا يتركا أحداً يضغط عليهما لتوقيع شيء لم يفهماه. لم يزد على ذلك، ولم يتظاهر بأن طريقهما صار سهلاً.

عند النافذة، مرّت شاحنة بطيئة، فاهتز زجاجها ورشقت عجلاتها الماء على جانب الطريق. تبادل الأخوان نظرة قصيرة، كأنهما تذكرا أن عليهما الرجوع معاً. أعاد سعد الورقة إلى الملف، بينما ناول نُعيمهما كيساً صغيراً من الخبز اليابس للطريق، ووضع قربه إبريقاً مملوءاً للشرب.

لم يغادرا فوراً. جلسا قرب النافذة حتى خف هدير الريح، ثم فتح جبار هاتفه ليتصل بالوسيط. لم يجب أحد، فترك رسالة قصيرة يطلب فيها موعداً يجمعهما، وأوضح أن خبير المساحة ينبغي أن يكون مستقلاً. راقب سعد الكلمات قبل أن يرسلها، ثم قال: «لا تكتب كأنك تحجي باسمنا الاثنين». حذف جبار العبارة الأخيرة وسأله عن الصيغة التي يرضاها. أمليا الرسالة معاً، كلمة كلمة، ثم أرسلاها.

كان صالح يصف الأكواب النظيفة على الرف. سمعهما يتفقان على أن يطلبا من الخبير بياناً واضحاً للمساحة والحدود، وأن يحتفظ كل واحد بنسخة من كل ما يُنجز. لم يطلب منهما إلغاء موعد المحكمة، ولم يقل إن الاتفاق يضمن انتهاء النزاع؛ اكتفى بأن يذكّرهما بألا يستعجلا توقيعاً، وأن يكتبا ما يتفقان عليه حين يكونان قد فهماه.

سأل جبار صالح إن كان يعرف أحداً من القوافل القديمة. أجابه بأن الطريق حمل تجاراً كثيرين، وأن معرفة الوجوه لا تجعل المرء شاهداً على كل ما جرى لهم. ثم أضاف، كمن يثبت لنفسه قاعدة قبل غيره: «اللي نعرفه نحكيه، واللي ما نعرفه ما نكمّله من عندنا». لم يذكر الصندوق ولا الرسالة؛ لم يكن في كلام الأخوين ما يخصهما.

رفع سعد رأسه عن الهاتف. وصلت رسالة من الوسيط تقترح لقاءً في اليوم التالي، على أن يحضر كل منهما أوراقه منفردة، ويُتفق هناك على خبير مناسب. قرأها جبار بصوت مسموع، ثم دفع الهاتف إلى سعد ليتأكد بنفسه. وافق سعد، ودوّن الموعد على ظهر ورقة نظيفة، بعيداً عن مستندات الأرض.

حين هدأ المطر بما يكفي، وقف الأخوان عند الباب. لفّ سعد الملف بقماش كان في سيارته، فيما تحقّق جبار من أن نسخته من الأوراق معه. لم يتبادلا اعتذاراً كبيراً، ولم يعلنا أن كل ما بينهما قد زال. لكن سعد انتظر أخاه حتى أغلق الباب، ثم مشيا نحو السيارة بخطوتين متقاربتين أكثر مما دخلا بهما.

ناداهما نُعيم قبل أن يبتعدا، ومدّ إليهما الكيس الذي نسياه قرب النافذة. قال سعد: «تسلم، لولاكم جان ظلّينا بالطريق». أجابه نُعيم: «الله يوصلكم بالسلامة». حمل جبار الملف بيده، وحمل سعد إبريق الماء، ومضيا على مهل فيما انعكس ضوء الخان على الإسفلت المبلل.

عاد صالح إلى الطاولة. كانت ورقتا الأخوين قد بقيتا تحت الفنجانين، وقد جفّ طرفهما. لم يكتب اسميهما في دفتر المسافرين قبل أن يسألهما؛ اكتفى بفتح صفحة جديدة، وسجّل خلاصة الليلة من غير أن يحوّل نزاعهما إلى حكاية انتصار. كتب أن القياس يحتاج إلى عين محايدة، وأن التفاهم لا يمحو الحق بل يساعد على إظهاره.

ثم مرّ إصبعه على غلاف الدفتر الجلدي، وسوّى زاويته المتآكلة. ظلّ اسم سلمان الذي سمعه قبل قليل يرنّ في ذاكرته، لكنه لم يضعه في الصفحة. شهادة الرجل عن صحبة القوافل بقيت شهادة عن طريق قطعه، لا عن رسالة ولا عن أمانة. أعاد صالح المفتاح النحاسي إلى جيبه، وأغلق الدفتر برفق.

في الخارج، ابتعد صوت السيارة حتى ابتلعه الطريق. صبّ صالح لنفسه آخر كأس من الشاي؛ كان طعمه أقل مرارة بعدما بردت العاصفة. جلس نُعيم إلى جواره، ولم يسأله عمّا يفكر فيه. وراء الزجاج، بدأ الغبار المبتل يهدأ، وبقي في الخان كرسيان متقابلان ينتظران من يجلس إليهما في حكاية أخرى.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## العدل لا يطلب محواً للذاكرة

الحق لا يحتاج خصومةً دائمة؛ يحتاج طريقاً عادلاً يصل إليه.

**من أثر المسافر**

في الخلاف العائلي، اكتب الوقائع والمخاوف، واستعن بوسيطٍ محايدٍ وخبيرٍ عند الحاجة. حفظ الحق لا يعني كسر العلاقة، وحفظ العلاقة لا يقتضي التنازل عن حقٍ ثابت.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: بدّل اتهاماً واحداً بجملة تبدأ بـ«أنا أخشى أن...».

**سؤالٌ على الهامش**

ما التسوية التي تحفظ الكرامة والحق معاً؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# المعلم والطفل المنطوي

اكتشاف المواهب وبناء الثقة

كان المطر قد ترك على الطريق طبقةً لامعة، حين توقفت سيارة المدرسة عند خان الحكايات. نزل المعلم فاضل أولاً، ثم مد يده إلى كرار، لكن الصبي حمل حقيبته بنفسه ونزل متجنباً النظر إليه. كان في الثانية عشرة، نحيل الكتفين، يضم إلى صدره مذياعاً عتيقاً ملفوفاً بقطعة قماش. استقبلهم نُعيم عند الباب، وأشار إلى المقاعد القريبة من المدفأة الصغيرة. قال فاضل وهو ينفض قطرات الماء عن معطفه: «نحتاج استراحة قصيرة، ثم نتابع إلى المعرض المدرسي». وضع كرار المذياع على المقعد، وظل يراقب قطرات المطر وهي تنحدر على الزجاج. لم يسأله صالح عن سبب صمته. صب الشاي للمعلم، ووضع أمام الصبي قدحاً من الحليب الدافئ، ثم قال لنُعيم أن يبعد إبريق الماء عن الحقيبة. كانت رائحة الهيل تختلط برائحة التراب المبتل والدخان الخفيف. فتح فاضل دفتره ليتأكد من موعد المعرض، وقال إن كرار سيعرض جهازاً أصلحه بنفسه. عندها رفع الصبي عينيه لحظة، كأنه فوجئ بأن أمره صار حديثاً مسموعاً. استدرك المعلم بهدوء: «إذا بقيت مرتاحاً لهذا، طبعاً». حرّك كرار رأسه موافقاً، ثم أعاد نظره إلى المذياع. لم يلحّ عليه أحد. وخارج الخان، مرّت شاحنة فاهتزت ألواح النافذة، فيما ظل القدح دافئاً بين يدي الصبي.

بعد أن خف المطر، طلب فاضل من كرار أن يريه ما فعله بالمذياع. فك الصبي القماش بحذر، وأدار الجهاز حتى ظهرت شقوق الغلاف الخشبي ومسامير مختلفة الأحجام. قال: «كان الصوت يختفي، فبدلت السلك ونظفت موضع البطارية». لم يتباهَ، لكنه صار يتكلم أسرع، وأشار بإصبعه إلى الجزء الذي أصلحه. ناوله نُعيم بطاريتين، فوصلهما كرار، ثم أدار المفتاح. خرج من السماعة خشخشة قصيرة، تبعتها أغنية قديمة بعيدة، كأنها قادمة من غرفة أخرى في البيت. ابتسم نُعيم، أما صالح فمال قليلاً ليسمع، ثم عاد إلى كرسيه. على ظهر الجهاز ملصق باهت، كُتب عليه بخط اليد: «الحداد». مرر كرار إصبعه على أطرافه وقال إن المذياع كان في بيت جدته، وإنها لم تسمح له بنزعه. لم يضف شيئاً عن الاسم، ولم يسأله صالح عنه؛ فالملصق تذكار عائلي، وما من كلمة منفردة تكشف صاحبها. سأله فاضل عن العرض، فأجاب الصبي بأنه يستطيع شرح الإصلاح، لكنه لا يريد القراءة أمام الطلاب. لم يبدُ على المعلم ضيق. أخرج ورقة صغيرة وقال: «نختار جملة قصيرة أنت تحبها، ونتمرن عليها وحدنا. وإذا ما أردت، ما تقرأ». اقترح كرار أن يكتب بنفسه جملة عن الجهاز، ثم أخذ القلم، وأمال الورقة نحو الضوء. بقي المذياع يغني بصوت متقطع، لكنه لم ينطفئ.

حين وصلوا إلى المدرسة، كان باحة المعرض تضج بالأصوات ورائحة الورق والغراء. رتب فاضل الطاولات من دون أن يضع اسم كرار على بطاقة العرض قبل أن يستأذنه. اختار الصبي زاوية قريبة من نافذة، ووضع المذياع فوق قطعة قماش نظيفة. عرض لزملائه السلك القديم، ثم شرح كيف عرف موضع الخلل، خطوة بعد خطوة. لم يطلب من أحد أن يصفق، ولم يطلب فاضل ذلك عنه؛ لكن طفلاً صغيراً ضغط المفتاح، فخرجت الأغنية، فضحك الحاضرون وصفقوا. بدا كرار مرتبكاً، ثم انفرج وجهه قليلاً. كانت الورقة التي كتبها في الخان مطوية في جيبه. أخرجها، مسح بإبهامه أثراً من الحبر، وسأل فاضل بصوت خافت: «أقرأها هسه؟» أجابه المعلم: «إذا أنت مستعد». وقف كرار أمام طاولته، وأمسك الورقة بكلتا يديه. تعثر عند أول كلمة، فتوقف. لم يكمل فاضل عنه، ولم يلتفت الطلاب إلى بعضهم طلباً للضحك؛ انتظروا. أخذ الصبي نفساً، ثم قرأ الجملة التي اختارها: «حين أصغي جيداً، أعرف أين يختبئ العطل». لم تكن طويلة، لكنها خرجت واضحة في آخرها. بعد انتهاء المعرض، أعاد فاضل الجهاز إلى القماش، وقال إنه سيتفق مع المدرسة على وقت هادئ للقراءة، بعيداً عن المقارنة أمام الصف. هز كرار رأسه، وهو يثبت حقيبته على كتفه. عند خان الحكايات، كان صالح قد فتح دفتره الجلدي، وترك صفحة جديدة تنتظر.

عاد فاضل وكرار إلى الخان مع انطفاء آخر خيوط المطر. كان المعرض قد انتهى، لكن ضجيجه ظل عالقاً في أذني الصبي؛ حمل المذياع هذه المرة من مقبضه، ولم يلفه بالقماش إلا حين جلس. وضع فاضل ورقة صغيرة أمام صالح، وقال إن كرار قرأ جملة واحدة، ثم شرح إصلاح الجهاز لزملائه. لم يصف الأمر بالنصر، ولم يبالغ في مدحه. اكتفى بأن ابتسم للصبي: «أنت اللي اخترت متى تقرأ». تطلع كرار إلى الورقة، ثم قال: «بس تعثرت بالبداية». أجابه فاضل: «إي، وبعدين كملت. نشتغل على البداية بهدوء». صب نُعيم لهما الشاي، ووضع إلى جوار كرار قطعة خبز بالجبن. رفع الصبي غطاء المذياع ليتأكد من تثبيت السلك، بينما هبّت من الباب رائحة طين بارد وغبار الطريق. سأل صالح إن كان الجهاز قد صمد في المعرض. قال كرار إنه عمل، لكن صوتاً غريباً ظهر حين اقترب منه أحد الطلاب. شرح أن السلك تحرك قليلاً، وأعاد تثبيته أمامهم. تابعه فاضل من غير أن يقاطعه. وحين انتهى، قال الصبي، كأنه يختبر صوته: «أگدر أشرح هذا للصف، مو بس للمعرض». أومأ المعلم: «نبدأ بمن يريد أن يسمع، وبالوقت اللي يناسبك».

لم يحوّل فاضل اقتراحه إلى وعد كبير. أخرج دفتر المدرسة، وكتب فيه وقتاً قصيراً بعد الدوام مرتين في الأسبوع، ثم أراه لكرار قبل أن يثبته. قال إنهما سيقرآن معاً فقرة يختارها الصبي، ويتوقفان عند الكلمات الصعبة من دون أن يُطلب منه أن يقرأ فجأة أمام الصف. سأله كرار: «وإذا غلطت؟» أجاب فاضل: «نرجع للكلمة، ونفهمها. الغلط ما يفضح أحد». ظل الصبي ينظر إلى السطر، ثم اختار فقرة قصيرة عن أجهزة الصوت من كتاب العلوم. لم يطلب منه المعلم أن يبدأها في الحال؛ وضع علامة عند أولها، وأغلق الدفتر. كان ذلك اتفاقاً قابلاً للبدء، لا اختباراً جديداً. في الجهة الأخرى من الطاولة، فتح كرار مذياعه، ولف المفتاح بحذر. خرجت خشخشة ثم صوت مذيع بعيد يتحدث عن حالة الطقس. قال نعيم إن الجهاز صار يسمع أخبار الطريق أفضل من بعض المسافرين. ضحك فاضل، وارتسمت على وجه كرار ابتسامة سريعة. مر إصبعه على الملصق الباهت، محاولاً تثبيت طرفه المنفصل، لا قراءته. سأل صالح إن كان يريد شريطاً لاصقاً. أجاب الصبي: «لا، أخاف أخربه. هذا من أغراض جدتي». ناوله صالح ورقة زجاجية ناعمة بدلاً منه، ليزيل حافة الخشب الحادة. قبلها كرار وشكره، ثم عاد إلى عمله على مهل.

حين حان وقت الرحيل، كان الطريق قد جف في وسطه وبقيت المياه في حفره الصغيرة. لف كرار المذياع بقطعة القماش، لكنه ترك الملصق ظاهراً، كأنه لا يريد أن يضغط عليه. حمل فاضل الحقيبة، ومد نُعيم إليهما كيساً فيه خبز لفافة، وقال إن المسافة إلى المدرسة أطول مما تبدو بعد يوم مزدحم. شكره المعلم، ثم التفت إلى صالح: «ما استعجلته اليوم». رد صالح وهو يضم دفتره الجلدي: «الولد عرف متى يتكلم، وهذا يكفي لليوم». لم يضف نصيحة أخرى؛ كانت خطواتهما العملية أوضح من الكلام. عند الباب، توقف كرار لحظة وسأل صالح إن كان يستطيع أن يصلح المذياع إذا عاد الصوت يختفي. قال صالح: «إذا صار الخان على طريقك، اسأل نُعيم عني». أومأ الصبي، ثم خرج إلى السيارة من غير أن يخفي الجهاز وراء ظهره. بقي صوت المحرك قليلاً بين أشجار الطريق، ثم ابتلعه امتداد الغبار الرطب. عاد صالح إلى طاولته، فتح الدفتر وكتب في صفحة جديدة خلاصة قصيرة عن الإصغاء قبل الحكم، من غير أن يذكر اسم الطفل. لم يكتب عن الشجاعة كما لو أنها حدث يقع مرة واحدة؛ ترك سطراً لملاحظة الغد، ثم أغلق الدفتر. وفي الداخل استقر صوت المذياع في ذاكرته: خشخشة خفيفة، وبعدها كلمة خرجت واضحة.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## الموهبة بابٌ لا لقب

لا تقِس عقل طفلٍ بمسطرةٍ واحدة ثم تلُمُه لأنه لم يكن خطّاً مستقيماً.

### من أثر المسافر

تعثُّر واحد لا يختصر ذكاء الطفل. راقب ما يفعله بإصرار، امنحه تدريباً مناسباً، واطلب دعماً متخصصاً عند الحاجة من دون سخرية أو مقارنة. الثقة لا تعفي من التعلم؛ إنها تجعله ممكناً.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: اكتب نقطتي قوةٍ تراهما في طفلٍ قريب منك، ثم اسأله ما الذي يحب تعلمه.

### سؤالٌ على الهامش

كيف تجعل التشجيع صادقاً ومحدداً لا مجاملةً عابرة؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# الموظف النزيه والصفقة المشبوهة

الأمانة المهنية والرزق الحلال

وصل ماهر إلى خان الحكايات قبيل المغرب، وقد علق غبار الطريق على كتفي سترته كأنه قادم من يوم أطول من المعتاد. وضع حقيبته قرب المقعد، ثم ظل واقفاً لحظة، يصغي إلى المطر الخفيف يطرق سقف المدخل. كان نُعيم يصب الشاي، فرفع إبريقه وقال: «تفضل، بعدك واقف كأنك تنتظر أحداً». جلس ماهر، لكنه لم يمد يده إلى الكأس. أخرج من جيبه ورقة مطوية، فتحها، ثم أعاد طيها بعناية زائدة.

اقترب صالح أبو ناصر من الطاولة. لم يسأل عن الورقة، بل جلس قبالته وقال: «الطريق متعب اليوم؟» أجاب ماهر: «الطريق أهون من المكتب». عندها سكت، كأنه لم يقصد أن يقولها بصوت مسموع. مر نُعيم بين الطاولات، ووضع صحن تمر قريباً منهما، ثم انصرف من غير أن يتدخل.

قال ماهر إن اسمه محاسب في شركة توريد، وإن المدير طلب منه تمرير فاتورة بمبلغ يفوق ما تسنده أوامر الشراء. كان صوته منخفضاً، وفيه حذر من الجدران، مع أن الخان لم يكن فيه سواهما ورجل يقرأ صحيفة عند النافذة. «إذا رفضت، يقولون إني عطلت الشغل. وإذا وقعت، يصير اسمي تحت الرقم». نظر إلى الشاي، وقد بدأ البخار يخف، ثم أضاف أن عليه ديوناً متراكمة، وأنه لا يملك رفاهية خسارة راتبه.

لم يمد صالح يده إلى الورقة. قال: «لا تخلّي الخوف يختار عنك، ولا تستعجل حتى يصير غضبك توقيعاً آخر». بقي ماهر ساكناً، ثم قال إن المدير ينتظر منه الموافقة صباحاً. سأل صالح: «هل عندك نسخة من الطلب؟» هز رأسه. أوضح أن المراسلات في بريد العمل، وأنه لم ينسخ شيئاً بعد، خشية أن يتجاوز ما يحق له الاحتفاظ به.

قال صالح: «إذن لا تأخذ ما ليس لك. احفظ ما يحق لك نظاماً، واسأل جهة امتثال تثق بها عن المسار الصحيح. وقدّم تصحيح المعاملة كتابة، بلا اتهام ولا زيادة». لم تكن الكلمات وعداً بحل سهل؛ بدت لماهر كدرجات قصيرة على أرض زلقة. أخذ هاتفه، وكتب لنفسه نقاطاً: عدم التوقيع، مراجعة سياسة الشركة، طلب توضيح مكتوب، والتواصل مع مسؤول امتثال مستقل عن المدير. ثم توقف عند النقطة الأخيرة. «أخاف يعرف». قال نُعيم، وهو يلتقط صينية فارغة: «الخوف مفهوم، بس لا تخليه يسوقك وحده».

أعاد ماهر قراءة ما كتب. تذكر زوجته تنتظر أن يخبرها إن كان راتبه سيصل كاملاً، وتذكر فاتورة علاج أمه التي أجلها أسبوعاً. لم تختفِ تلك الأعباء، ولم يصغر الرقم في الورقة. لكنه رأى أن الصمت لن يبقيه خارج الصفقة؛ سيضع اسمه فيها من غير أن يكتب حرفاً. رفع الكأس أخيراً، وشرب جرعة باردة، ثم سأل صالح عن دفتر الأمانات القديم. أشار الرجل إلى خزانة خشبية وراء المنضدة، وقال: «أوريك إياه، لكن لا تقرأه كأنه دفتر حساب شركة».

أخرج صالح دفتراً جلدياً داكناً، ووضعه على الطاولة بعد أن مسح عنه غباراً ناعماً. فتح صفحات احتفظت أطرافها بلون العسل، ومرر إصبعه على سطور مرتبة: تاريخ، وصف لما استُلم، وتوقيعان عند التسليم. لم يكن في الدفتر شيء مزخرف؛ قوة صفحاته في أن كل سطر يترك مجالاً لمن يأتي بعده كي يتحقق.

قال صالح: «كنت أكتب وقتها، وأطلب شاهداً يعرف ما جرى. مو لأن الناس كلهم يتهمون بعضهم، لكن الذاكرة تتعب، والحق ما يصير أوضح إذا رفعنا أصواتنا». قلب صفحة، فتوقف عند قيد قديم يذكر صندوقاً مختوماً. في خانة الحالة عبارة قصيرة تفيد بأنه بقي كما أُودع، وإلى جانبها علامتا شاهدين. لم يظهر اسم صاحب الحق في الصفحة التي قرأها ماهر، ولم يطلب صالح منه أن يبحث عنه.

قال ماهر: «يعني الأمانة ظلت مقفلة كل هالسنين؟» أجاب صالح: «بحسب ما أثبته الدفتر، نعم. وما يثبت صاحبها نحتاج له غير الظن». نظر ماهر إلى يدي الرجل؛ كانتا ثابتتين وهما تقلبان الورق، لكن إبهامه وقف لحظة عند حافة القيد، كأن السنين تركت هناك ثقلها. طوى الدفتر وأعاده إلى مكانه.

فتح ماهر هاتفه مجدداً، وصاغ رسالة قصيرة إلى مسؤول الامتثال يطلب فيها مراجعة اختلاف الفاتورة وإرشاده إلى الإجراء، من غير أن يرفق مستنداً لا يحق له حفظه. قرأها مرتين، ثم ضغط الإرسال. لم يبدُ منتصراً؛ اكتفى بأن يزفر، ويضع الهاتف مقلوباً على الطاولة. قال لصالح: «باجر أطلب التصحيح». فأجابه: «خطوة واضحة تكفي الليلة». في الخارج، عبرت شاحنة فاهتز زجاج النافذة، وبقي صوت الطريق عالياً، لكن ماهر لم يعد يصغي إليه وحده.

ظل الهاتف مقلوباً حتى انطفأت الشاشة، ثم أضاء من جديد باهتزاز قصير. لم يمد ماهر يده إليه فوراً. كان نُعيم قد جدد الشاي، وصار المطر خلف النافذة خيطاً متصلاً يلمع كلما مرّت سيارة. قال صالح وهو يرفع الدفتر عن طرف الطاولة: «الرد ما يغيّر اللي عليك، لكنه يفتح لك باباً تسأل منه». قلب ماهر الهاتف؛ كانت رسالة من مسؤول الامتثال تؤكد استلام طلبه، وتقترح لقاءً صباحياً في مقر الشركة.

قرأها، ثم عاد إلى السطر الأخير مرتين. «إذا صار اسمي معروفاً عند المدير؟» قال صالح: «لا أقدر أضمن لك شنو يسوي. أقدر أقول لك خلّ كلامك مضبوط، واحتفظ بما يحق لك الاحتفاظ به، ولا تدخل في أخذ أوراق غيرك». أومأ ماهر. كانت نصيحة لا تحميه من كل عاقبة، لكنها تترك قدميه على أرض مفهومة.

في طريقه إلى غرفته الصغيرة قرب المحطة، اتصل بزوجته. لم يذكر تفاصيل قد تضر عمله، واكتفى بأن قال إنه لن يوقّع قبل مراجعة الحسابات. سكتت لحظة، ثم سألته إن كان سيخسر راتبه. أجاب: «ما أعرف بعد، بس ما أريد أزيد علينا مشكلة». لم تطلب منه بطولة؛ قالت إنها ستؤجل شراء شيء للبيت حتى تتضح الأمور.

عاد إلى الخان قبل أن يغلق صالح الباب، وقد صار المطر أخف. طلب من نُعيم ورقة نظيفة، وكتب عليها أسئلة يريد أن يطرحها صباحاً، لا اتهامات. ثم طواها ووضعها في جيبه، كأن ترتيب الكلمات أول ما استطاع ترتيبه في ذلك اليوم.

مع أول ضوء، جلس ماهر في غرفة الاجتماعات الصغيرة، أمام مديره ومسؤولة الامتثال. وضع المدير نسخة الفاتورة على الطاولة، وضرب بإصبعه على خانة المبلغ. «المورّد ينتظر، وما أريد تعطيل الشغل بسبب فرق بسيط». لم يرد ماهر على نبرة الاستعجال. فتح ملفه الذي أعده من بيانات العمل المتاحة له، وأشار إلى أمر الشراء والى الكمية المسجلة في النظام.

قال: «ما أقدر أعتمد المبلغ قبل ما نعرف سبب الفرق. أطلب مطابقة الفاتورة مع أمر الشراء، وإذا أكو تعديل صحيح ينضاف بالطريقة المعتمدة». كانت مسؤولة الامتثال تستمع، ثم سألت المدير إن كان هناك ملحق أو موافقة جديدة. قال إنه لم يحضرها، وان المورد أخبره هاتفياً أن الأسعار تغيرت.

رفع ماهر عينيه عن الأوراق. «إذا السعر تغير، نحتاج مستند يوضح ذلك. ما أرفض المعاملة، أطلب تصحيحها». تحرك المدير في كرسيه، وقال إن الشركة لا تحتمل موظفاً يعطل كل شيء. لم يجادله ماهر، ولم يرفع صوته. كرر طلبه، ثم دوّن في محضر الاجتماع أن الفاتورة تحتاج مطابقة قبل اعتمادها، وطلب أن تُرسل إليه التعليمات مكتوبة.

بعد الاجتماع، بقيت مسؤولة الامتثال معه دقائق. أوضحت أن عليه اتباع سياسة الشركة، وألا ينقل مستندات إلى حسابه الشخصي أو يحتفظ بما لا تسمح به التعليمات. دوّن النقاط، وسأل عن قناة آمنة للإبلاغ إن تعرض لضغط إضافي. أعطته اسم الجهة الداخلية المختصة وإجراء التواصل معها. لم يقل له أحد إن وظيفته صارت مضمونة؛ لكنه خرج وهو يعرف الخطوة التالية، ويعرف أيضاً ما الذي لا ينبغي أن يفعله.

عند الظهر، وصل إلى هاتفه طلب من المدير أن يمر بمكتبه. لم يفتح ماهر الرسالة على عجل. أرسل أولاً إلى مسؤولة الامتثال يسأل إن كان عليه اصطحاب ممثل من الجهة المختصة، فاقترحت أن يحضر زميل من الموارد البشرية. وحين دخل، كان الزميل ينتظره قرب الباب. قال المدير إن الخلاف انتهى، وإنه سيطلب من المورد إرسال مستند معدل، ثم أضاف أن التأخير سيُسجل على الفريق كله.

أجاب ماهر: «أرسلوا المستند، وأنا أراجعه حسب الإجراء». لم يعتذر عن طلبه، ولم يتهم أحداً. أُرسلت الفاتورة المصححة بعد ساعات، وبقيت المعاملة معلقة إلى أن طابقت البيانات. لم يعرف ماهر إن كان المدير سيذكر موقفه في تقييمه، ولم يسأله أحد أن يطمئن إلى ذلك. اتصل بزوجته عند خروجه، وقال إن راتبه لم يتغير حتى الآن، لكنه لا يستطيع أن يعدها بما لا يعرفه.

في المساء عاد إلى خان الحكايات. كان صالح يجفف حافة المنضدة، ونُعيم يرفع إبريقاً عن النار. وضع ماهر ورقة أسئلته في جيبه، وبدا أخف من الليلة الماضية، لا لأن ديونه اختفت، بل لأن اسمه لم يُكتب على فاتورة يعرف أنها غير مطابقة.

قال لصالح: «ما انحل كلشي، بس المعاملة رجعت للمراجعة». أجابه صالح: «هذا فرق يُحسب». أخرج الدفتر الجلدي لحظة ليعيده إلى الخزانة، فوقع نظر ماهر على القيد القديم نفسه: صندوق مختوم، وحالته مثبتة، وتوقيعان عند الأمانة. لم يسأل عن صاحبها. رأى أن السطر لا يمنح أحداً حقاً من تلقائه؛ إنه يحفظ ما جرى إلى أن يأتي ما يثبت الباقي. شرب شايه ساخناً هذه المرة، فيما مرّ صوت شاحنة على الطريق ثم ابتعد.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## النزاهة تحتاج خطة

التوقيع لحظة، لكن أثره قد يطول أكثر من عمر الوظيفة.

### من أثر المسافر

حين تتعرض لضغطٍ مهني، لا تتسرع في التوقيع ولا تواجه وحدك إذا كان ذلك يعرضك للخطر. احتفظ بما يحق لك حفظه، واطلب المشورة من قناةٍ مختصةٍ موثوقة، واطلب تصحيح الإجراء.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: تعرّف إلى سياسة النزاهة أو الامتثال في مكان عملك.

### سؤالٌ على الهامش

ما المبدأ الذي لا تريد أن تساوم عليه حين يشتد الضغط؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# المتطوعة المجهولة

التكافل وجبر الخواطر

وصلت المرأة قبيل المغرب، حين كان المطر قد خفّ إلى رذاذ يلمع على الطريق، وترك على عتبة الخان رائحة التراب المبتل. حملت صندوقاً من الورق المقوّى، انتفخت جوانبه بأقمشةٍ مطوية، وأسندته إلى الأرض بحذر.

قال نعيم وهو يزيح لها كرسياً: «تفضلي، أجيب لك چاي؟»

ابتسمت. «إذا ما أثقل عليكم. الصندوق وحده متعبني.»

كان في كلامها أثر سفر طويل، لكن عينيها ظلتا تتفقدان المكان كما لو أنها جاءت لغرض واضح، لا للاستراحة فحسب. ناولت صالحاً قطعة قماش زرقاء، مطرزة بخيط أبيض، وقالت إنها وجدتها بين أشياء قديمة تخص عائلتها، وإنها لم تعرف لمن كانت. لم يمد يده إليها فوراً؛ اكتفى بالنظر إلى الغرز الدقيقة، ثم سألها إن كانت تريد أن تريه شيئاً آخر.

قالت: «أنا مها. أدير مبادرة صغيرة لتعليم الخياطة عندنا. جبت بعض العينات حتى أشرح للطالبات شلون يحوّلن البقايا إلى أشياء تنباع.»

أخرجت من الصندوق حقيبة قماشية، ثم غطاءً مطرزاً بعناية. شرحَت كيف تتعلم الطالبات الحرفة بعد المدرسة، وكيف يقتسمن العمل من غير أن يتعطل دراستهن. لم تتحدث عن مكسب كبير؛ كانت تحسب كلفة الخيط والوقت، وتدوّن الطلبات في دفترٍ صغير.

أصغى صالح، بينما صب نعيم الشاي. وحين عادت عيناه إلى القطعة الزرقاء، لم يسألها عن نسبها. سألها فقط: «تسمحين أبحث في بعض الأوراق القديمة، إذا كان ممكن يفيدك؟» وضعت مها كفيها على الطاولة. «أسمح، بشرط أعرف شنو تبحث عنه، وما تخرج أوراقي من يدي.» فأومأ موافقاً.

انتظر صالح حتى فرغت مها من شرح مشروعها، ثم أخبرها أن لديه أمانة قديمة تخص عائلة تحمل اسماً قريباً من اسمها. لم يقل إنها لها، ولم يطلب منها أن تثق بحدسه. وضع أمامها ورقة بيضاء وشرح أن التحقق، إن رغبت، سيكون خطوة خطوة، وبموافقتها، وأن لها أن تتوقف متى شاءت.

قالت: «خلّينا نبدأ بما يمكن التأكد منه.»

أحضر صندوق الأوراق من الغرفة الداخلية، وبقي نُعيم عند الباب، شاهداً على ما يجري من غير أن يلمس شيئاً. أخرج صالح الرسالة الأصلية المغلقة، ووصل الأمانة المحفوظ معها. لم يفتح الرسالة؛ أراها الظرف وأشار إلى اسم المرسل وتاريخه، ثم أعاد كل شيء إلى موضعه. كان الوصل يسجل إيداع صندوق عنده قبل أعوام طويلة، لكنه لم يثبت أن المرأة الجالسة أمامه هي المقصودة.

طلبت مها أن تقرأ اسمها كاملاً من هويتها المدنية أولاً، لا أن تسلمه نسخة. قرأته بصوت مسموع: مها سلمان جاسم الحداد. أخرج صالح الرسالة، وفتحها أمامها، فظهرت فيها التسمية نفسها، مكتوبة بوضوح. بقيت الرسالة قرينة لا خاتمة؛ فصالح لم يخلط بين الاسم المكتوب وبين إثبات صاحبة الاسم.

في اليوم التالي، وبإذنها، راجعا سجل التوثيق لدى الجهة التي حفظت قيد الأمانة. تحقق الموظف المختص من الرقم والتاريخ في سجله، وأعاد إليهما إفادة رسمية قابلة للمراجعة. لم يأخذ منها شيئاً، ولم يكتف بصورة في هاتف. وبعدها اتصلت مها بشاهدين مستقلين يعرفان تاريخ عائلتها، واتفقوا على اللقاء في الخان.

جاء الشاهدان في الموعد، رجل وامرأة لا تجمعهما مصلحة بالأمانة، بل معرفة قديمة بتاريخ الأسرة. سأل صالح كل واحد منهما على حدة عمّا يعرفه، وسجل إفادتهما وتاريخها. لم يطلب منهما أن يخمّنا شيئاً، ولم يسمح بأن يحل التذكر محل الأوراق. قالت المرأة إنها عرفت والد مها منذ سنوات، وإنها تتذكر خبر وفاته، لكنها لم تعرف أين ذهبت ابنته بعد ذلك. وأكد الرجل ما يعرفه عن الأسرة، من غير أن يدعي علمه بمصير الصندوق.

قورنت الإفادتان بالسجل الرسمي والهوية والوصل والرسالة الأصلية. راجع الموظف المختص بيانات القيد مرة أخرى، ثم أكد تطابقها. عندها فقط قال صالح، بصوت هادئ: «صارت الأدلة متفقة. الأمانة لك يا مها.»

لم تجب فوراً. نظرت إلى الطاولة، ثم قالت: «أريد أشوف محتويات الصندوق قبل ما أوقّع.» فتحه أمام الشهود، وأخرج ما فيه بنداً بنداً: المال، والذهب، والأوراق العائلية. قرأت، وسألت عن ورقة قديمة، ثم طلبت تسجيل ما تسلمته. دوّن صالح محضر التسليم، ووقّع الجميع، وأخذت نسخة تحفظها معها.

لم يكن في الغرفة تصفيق ولا كلام كبير؛ سمع المطر وهو يعود خفيفاً على السقف. قالت مها إنها ستخصص، بإرادتها، جزءاً من المال لشراء آلات خياطة للمبادرة، بعد أن ترتب حساباتها، وإن بقية المال ستبقى لاحتياجاتها العائلية. لم يعلّق صالح، بل شكرها على قرارها، مؤكداً أن حقها لم يكن مشروطاً به.

بعد انصراف الشهود، فتح دفتره الجلدي. كتب: «الأمانة لا يثبتها التشابه ولا الشفقة؛ يثبتها الدليل، ويحفظها الصبر.» ثم أعاد المفتاح النحاسي إلى جيبه، وأطفأ المصباح قرب النافذة.

ظلّ الخان ساكناً بعد انطفاء المصباح. جمع نُعيم فناجين الشاي، وترك فنجان مها على الطاولة لحظة قبل أن يغسله؛ بقيت في قعره ورقة نعناع التصقت بالخزف. أما صالح فظل واقفاً قرب النافذة، يصغي إلى المطر وهو يتقطع فوق السقف، وإلى شاحنة تمر على الطريق ثم يبتعد هديرها.

في الصباح، حين دخل الضوء من الشقوق، وجد نُعيم أن صندوق الأمانة لم يعد في الغرفة الداخلية. بقيت مكانه مساحة مستطيلة خالية، وعلى الطاولة نسخة من محضر التسليم محفوظة في غلاف شفاف. لم يمد يده إليها. قال لصالح وهو يضع إبريق الماء على النار: «أحس المكان صار أوسع.»

أجابه صالح: «يمكن لأن الشيء رجع لمكانه.»

لم يكن في صوته انتصار؛ بدت عليه سكينة من أتم عملاً طال انتظاره، لا من كسب شيئاً. فتح دفتر الخان، وقلّب صفحاته حتى وقف عند سجل الأمس. لم يضف اسماً ولا حكاية، واكتفى بأن يتحقق من أن محضر التسليم محفوظ مع الأوراق التي تخصه.

في الخارج، جف جزء من الطريق، وبقيت الحفر الصغيرة تلمع بالماء. وصل أول مسافر، وسأل عن الشاي. صبّ له نُعيم، بينما أعاد صالح الغلاف إلى مكانه وأغلق الدرج. لم يكن الصندوق هنا بعد الآن، لكن أثر العشرين عاماً بقي في هدوء يديه.

مرّ أسبوع قبل أن تعود مها إلى الخان. جاءت هذه المرة بلا صندوق الأقمشة، وفي يدها قائمة مكتوبة بخط مرتب. لم تحمل معها وعداً كبيراً؛ أرادت أن ترتب حساب المبادرة أولاً، كما قالت، وأن تعرف ما تحتاجه الطالبات فعلاً قبل شراء الآلات.

جلس نعيم إلى طرف الطاولة، وناولها ورقة نظيفة. راحت تذكر عدد المتعلمات، وما يصلح من الأدوات الموجودة، وكلفة صيانة آلة قديمة في مركزهن. كانت تحسب على مهل، وتضع خطاً تحت المصروف الذي يمكن تأجيله. قال صالح إن الخطة الواضحة أرحم من شراء أشياء لا تجد من يستعملها، ثم ترك لها المساحة لتقرر.

لم تتعامل مع نصيبها كأنه حلّ لكل ما تعانيه المبادرة. قالت إن جزءاً منه سيبقى احتياطاً لاحتياجات البيت، وإنها ستخصص مبلغاً محدداً للمعدات بعد أن تتفق مع زميلاتها على طريقة حفظ الحسابات. لم يسألها صالح عن مقدار ما بقي، ولم يطلب أن يرى أوراقها. كانت الأمانة قد خرجت من يده، وصارت شؤونها شأنها.

قبل أن تغادر، أخرجت من حقيبتها قطعة القماش الزرقاء، وطوتها بعناية. لم تعد تسأل عن أصلها؛ كانت قد قررت أن تحتفظ بها في بيتها، إلى جانب أوراق الأسرة التي تسلمتها. قالت لنُعيم: «الطالبات ينتظرنّي، تأخرت عليهن.» فردّ مبتسماً: «الله يسهّل دربچ.» ثم حمل الصندوق الفارغ عنها حتى عتبة الخان.

وقفت مها عند العتبة، تسوّي طرف عباءتها قبل أن تمضي. لم يرافقها صالح إلى الطريق؛ اكتفى بأن أومأ لها، تاركاً لها وداعاً لا يحاصر خطوتها. كان الصباح صافياً بعد المطر، ورائحة الغبار المبتل تمتزج برائحة الخبز القادمة من ناحية القرية. مضت وهي تحمل قائمتها، لا صندوق الأمانة؛ وقد صار عليها أن تختار كيف تبدأ، خطوة بعد خطوة.

عاد نعيم إلى الداخل، فوجد صالح يفتح النوافذ. دخل صوت الطريق مع الهواء، ثم استقر في الخان رنين الملاعق وحركة كراسٍ تُسحب إلى الطاولات. لم يتغير المكان كثيراً: إبريق على الموقد، أكواب تنتظر، ودفتر جلدي لم يفرغ من الحكايات. لكن الدرج الذي حفظ سنوات طويلة أوراقاً وصندوقاً صار أخف.

قال نُعيم: «هسه نكتب حكايتها؟»

أغلق صالح النافذة نصف إغلاق، وقال: «إذا رغبت هي. مو كل ما نعرفه ندوّنه.»

فهم نعيم، فترك صفحة الدفتر مفتوحة بلا عنوان. دخل مسافر يسأل عن الطريق إلى كربلاء، فنهض ليدله، فيما وضع صالح أمامه الشاي. لم يسأل الرجل عن الصندوق، ولم يكن ذلك مما يحتاجه كي يجلس.

على الطاولة بقيت علامة باهتة حيث استقر صندوق الأمانة طويلاً. مرّر صالح كفه فوقها، ثم انشغل بتعديل موضع الإبريق. لم يحاول أن يمحو الأثر؛ تركه يبهت مع الأيام، مثلما يهدأ صوت شاحنة حين تبتعد، ويبقى للخان ما يقدمه للقادمين: مقعد دافئ، ووقت يصغي، ويد لا تستعجل حقاً ولا تنساه.

# ما الذي يبقى من الحكاية؟

## العطاء الذي يبني

العطاء الذي يعلّم يداً أن تعمل يظلّ حاضراً بعد انصراف صاحبه.

**من أثر المسافر**

المساعدة المستدامة تجمع بين الكرامة والاختيار والمهارة. اسأل صاحب الحاجة عمّا ينفعه، ولا تجعل المساعدة شرطاً للتنازل عن حقه أو خصوصيته. أحياناً تكون ورشة صغيرة أو فرصة تعلمٍ أوسع أثراً من هديةٍ سريعة.

**خطوة عملية**

خطوة اليوم: اعرض مهارةً أو وقتاً محدداً، واترك للطرف الآخر حرية القبول والرفض.

**سؤالٌ على الهامش**

ما الخير الذي يمكن أن يستمر بعد أن تغادر المكان؟

اكتب جوابك لنفسك... فقد تكون خطوتك القادمة أول سطرٍ في حكايةٍ جديدة.

# رسالة من المؤلف

## إلى قارئ هذه الحكايات

كتبت هذه الحكايات لأقول إن الطريق لا يختبر خطانا وحدها،
بل يكشف ما نحمله في قلوبنا من أمانة ورحمة ومسؤولية.
في خان الحكايات يترك كل مسافر أثرا، وتصبح الحكاية
الصادقة بابا لفهم أنفسنا والآخرين، ودليلا إلى ما ينفع.
أرجو أن تجد بين الصفحات لحظة تشبهك، أو فكرة ترافقك
في طريقك، وأن يبقى الخير الذي نفعله أطول من رحيلنا.


## حقوق النشر

© 2026 – جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمؤلف: علي إبراهيم خليل الخفاجي.

لا يسمح بنسخ الكتاب أو إعادة نشره كاملا دون إذن خطي من المؤلف،

مع مراعاة الاقتباسات المسموح بها قانونا.


علي إبراهيم خليل الخفاجي



## هنا.. «لا يُدفع الحساب بالمال.»

على تقاطع طرقٍ بعيد، يقف خانٌ عتيق لا يقصده إلا العابرون.

لكل مسافرٍ يدخل من بابه حكايةٌ تُغيّر مصير غيره، ودرسٌ يرمّم ما كسرته الأيام.

وفي زاوية المكان، صندوقٌ مغلقٌ ينتظر صاحبه منذ عشرين عاماً..

امسح الرمز لزيارة مكتيقي الرقمية، حيث تجد جميع مؤلفاتي في مكان واحد.






علي ابراهيم خليل الخفاجي